منتخب العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ

تهذيب

أحمد الجرابلسي

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الأسوار

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ-٢٠٢١م

* كتاب العَسْجدة: في كلام الأعراب... قال عمر بن عبد العزيز: ما قومٌ أشبهَ بالسلف من الأعراب، لولا جفاءٌ فيهم.

-دعاء الأعراب.. الأصمعي قال: حججت فرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة، ويقول.. أتيتُ إليك بذنوب، لا تغسلها الأنهار، ولا تحملها البحار.. ارحموا أسيرَ ضُرّ، وطريد فقر.

-أعرابي يدعو عشية عرفة. أتتك العصاة من البلد السحيق.. أبدت لك وجوهها المصونة، صابرة علىٰ وهَج السمائم (ريح حارة)، وبرد الليالي، ترجو بذلك رضوانك؛ يا غفار، يا مُسْتزادا من نعمه، ومُسْتعاذا من نقمه، ارحم صوت حزين، دعاك بزفير وشهيق.. هبْ لي الإصلاح في الولد، والأمن في البلد، والعافية في الجسد.

-الأصمعي عن أعرابية قُطع بها الطريق إلىٰ منىٰ.. يا رب.. أسدِلْ عليّ سترك، الذي لا تخرقُه الرماح، ولا تزيله الرياح.

-وسمع أعرابيا يقول.. إليك بك أتوسل، ومنك إليك أفرّ.

-وقال رأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة.. يقول: ربّ أتُراكَ معذبَنا، وتوحيدُك في قلوبنا، وما إخالُك تفعل.

-وعنه قال: وقف أعرابي في بعض المواسم فقال.. اللهم.. قد وجب لكل ضيف قِرىٰ، وأنا ضيفك الليلة، فاجعل قِرايَ فيها الجنة.

-قال: دعا أعرابي عند الكعبة.. اللهم إنه لا شرف إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال؛ فأعطني ما أستعين به علىٰ شرف الدنيا والآخرة. -من أفناء الناس (أخلاطهم).

-دعت أعرابية لابنها.. امضِ مُصاحَبا مكلوءا، لا أشمتَ اللهُ بك عدوّا، ولا أرىٰ محبيك فيك سوءا.

-ذكر أعرابي مصيبة فقال: والله تركت سود الرؤوس بيضا، وبيض الوجوه سودا، وهوّنت المصائب بعدها.

-قال الشاعر:

بكيت بكاء مُوجَعة بحزن... أصاب الدهرُ واحدَها الفريدا - ذكر أعرابي قوما

تغيرت أحوالهم فقال: أعينٌ والله كُحلت بالعَبْرة بعد الحَبْرة.

-وقال أعرابي في تغير الأحوال.. لم أرَ صاحبا أغرَّ من الدنيا.. ومن عصف به الليل والنهار أردياه.

-وقال إعرابي: إن الدنيا تنطق بغير لسان، فتخبر عما يكون، بما قد كان.

-قال أعرابي لمعن بن زائدة: ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم، أقوىٰ من رحلة مثلي، من أهل السن والحسب، إليك من بلاده.

-وقف أعرابي بقوم فقال: تتابعت علينا سنون... لم يكن للسماء فيها رَجْع، ولا للأرض فيها صَدْع.. وطرحتني الأيام إليكم، غريب الدار.. فرحم الله امرأ رحم اغترابي، وجعل المعروف جوابي.

-سمع المهدي أعرابية تشكو حال قومها.. أبناء سبيل، وأنضاء طريق.. وصية الله، ووصية رسوله صلّىٰ الله عليه وسلم.

-قيل لمن ركب بَحِيرة (ناقة): أتركب حراما؟ قال: يَركب الحرام، من لا حلال له.

-سأل أعرابيٌ فقال: رحم الله مسلما لم تمجّ أذناه كلامي.. الحياء زاجر، يمنع من كلامكم، والعُدم عاذر، يدعو إلىٰ إخباركم، والدعاء إحدىٰ الصدقتين.. (قالوا): ممن الرجل؟ فقال: ممن لا تنفعكم معرفته، ولا تضركم جهالته، ذلّ الاكتساب، يمنع من عز الانتساب.

-قال بعضهم:

وقد خشيت بأن أبقىٰ بمنزلة ** لا دين عندي ولا دنيا تواتيني

-أشراط، شروط، شُرَطة، جمع شرطي.

-قال أعرابي لهشام عندما سأله عن حاجته.. ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أدّرع الهجير، وأخوض الدّجىٰ، لخاصّ دون عام، ولا خير في خير لا يَعُم.

-وقال أعرابي لرجل.. إني امتطيت إليك الرجاء، وسرت علىٰ الأمل، ووفدت بالشكر، وتوسلت بحسن الظن.

-وقف أعرابي علىٰ حلقة يونس النحوي (ابن حبيب١٨٢ه) فقال بعد ذكر آية

البقرة... إن الله لا يستقرض من عِوَز؛ ولكن ليبلو خيار عباده.

-سأل أعرابي قوما قائلا.. مقامي.. مقام ذل وعار وصَغار.. ولم يعطوه شيئا.. ثم قال: أشدّ والله عليّ من سوء حالي وفاقتي، توهّمي فيكم المواساة، انتعلوا الطريق، لا صحبكم الله.

-وقف أعرابي.. فقال: تتابعت علينا سُنون.. لقد مشيتُ حتىٰ انتعلتُ الدماء، وجعتُ حتىٰ أكلتُ النوىٰ.

- قالت أعرابية لعبد الرحمن بن أبي بكر.. لا قرابة تؤويني، ولا عشيرة تحميني، فسألتُ أحياءَ العرب: مَن المُرتجىٰ سَيْبُه (عطاؤه)، المأمون عيبه، الكثير نائله، المكفيّ سائله؟ فدُلِلتُ عليك.

-دخل أعرابي مع قومه البصرة في سنة جدب فقال.. إخوانكم في الدين، وشركاؤكم في الإسلام، عابرو سبيل، وفُلّال بؤس، وصرعىٰ جَدْب.. هذه آثار مصائبنا، لائحة في سماتنا، فرحم الله متصدقا من كثير، ومواسيا من قليل.

-دخل أعرابي علىٰ حلقة الأصمعي سائلا يقول: إن الفقر يهتك الحجاب، ويبرز الكِعاب؛ وقد حملتنا سُنُو المصائب، ونكبات الدهور، علىٰ مركبها الوعر، فواسوا أبا أيتام، ونضو زمان.. رحمكم الله.

-سمع عدي بن حاتم أعرابيا يقول: تصدقوا علىٰ شيخ مُعيل، وعابر سبيل، شهد له ظاهره، وسمع شكواه خالقُه.. (أعطاه مئة بعير).

-وقف أعرابي بقوم فقال: أشكو إليكم أيها الملأ، زمانا كلَح فيّ وجهُه، وأناخ عليّ كلكلُه.

- قال أعرابي لهشام.. إنّ الله تبارك وتعالىٰ جعل العطاء محبة؛ والمنع مَبْغضة.

-قال أعرابي لقوم: أيها الناس.. فمن يرحم نضو سفر، وفَلّ سنة.

-مر الأصمعي برجل من الأعراب قاعد مع زوجته بقارعة الطريق يقول:

يا ربّ إني قاعد كما ترىٰ ❊❊ وزوجتي قاعدة كما ترىٰ

والبطن منّي جائع كما ترىٰ ❊❊ فما ترىٰ يا ربّنا فيما ترىٰ

-حكىٰ بعض الأعراب للأصمعي عندما أصابتهم سنة، فجعل كلبه يعوي من الجوع، فقال:

تشكّىٰ إليّ الكلب شدّة جوعه ❊❊ وبيْ مثلُ ما بالكلب أو بيَ أكثر

-قال أعرابي لأخيه يعظه.. أنت طالب ومطلوب.. فامهد لنفسك، وأعدّ لغدك، وخذ في جَهازك.

-ووعظ أعرابي أخاه المسرف في الشراب فقال.. لا الدهر يعظك، ولا الأيام تنذرك، ولا الشيب يزجرك.

-قال أعرابي لرجل: أيْ أخي، يسار النفس، أفضل من يسار المال، فإن لم تُرزق غنىٰ، فلا تُحرم تقوىٰ.. واعلم أن المؤمن علىٰ خير، ترحّب به الأرض، وتستبشر به السماء.

-قال أعرابي.. ما كلّ من أُعطي مالا أُعطي حمدا، ولا كلّ عديم ذميم.

-قال أعرابي: مضىٰ لنا سلف.. يرون اصطناع المعروف عليهم فرضا لازما.

-قال أعرابي.. اصحب من يتناسىٰ معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

-قالت أعرابية لابنها.. من افتقرتَ إليه، هُنتَ عليه.

-وأوصت أعرابية ولدها.. إياك والنمائم، فإنها تورث الضغائن.. من جمع بين السخاء والحياء، فقد أجاد الحُلّة (ثوب من إزار ورداء).

-قال أعرابي لما ذكروا أهل السلطان.. لئن عزّوا في الدنيا بالجور، لقد ذلّوا في الآخرة بالعدل.

-وصف أعرابي الدنيا.. رَنِقَة المشارب (كَدِرَة)، جَمّة المصائب، لا تمتعك الدهرَ بصاحب.

-وقال أعرابي.. حسبك من فساد الدنيا، أنك ترىٰ أسنمة توضع، وأخفافا ترفع.

-قيل لأعرابي: من أحقّ الناس بالرحمة؟ قال: الكريم يُسلّط عليه اللئيم، والعاقل يُسلّط عليه الجاهل.. وقيل له: فأي الناس أغنىٰ عن الناس؟ قال: من أفرد اللهَ بحاجته.

-قيل لأعرابي: كيف دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار.

-وقال أعرابي: بئس الزاد، التعدي علىٰ العباد.

-وقال أعرابي: أعجزُ الناسِ، من قصّر في طلب الإخوان.

-وقال أعرابي لابنه: لا يسرك أن تغلب بالشر؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب.

-قال سوّار القاضي لأعرابي يريد الشهادة.. إن ميداننا لا يجري من العتاق فيه إلا الجياد. قال: لئن كشفتَ، لتجدني عَثوراً.

-احتُضر أعرابي فقال لبنيه.. عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم.

-قال أعرابي في رجل مصلوب. أنبتته الطاعة، وحصدته المعصية.

-ذكر أعرابي قوما عُبّادا فقال:.. لهم عبرات متدافعة، وزفرات متتابعة.

-وذكر أعرابي قوما فقال: أدّبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب.

-وذكر أعرابي قوما فقال: ما رأيت أسرع منهم إلىٰ داعٍ بليل، علىٰ فرس حسيب، وجمل نجيب.

-وذكر أعرابي قوما فقال ❊❊ أقصىٰ هممهم، لَأَدْنىٰ فعالِنا.

-مدح أعرابي رجلا فقال:.. له هزة كهزة السيف إذا طرِب، وجُرأة كجرأة الليث إذا غضب.

-ومدح أعرابي رجلا فقال.. لم أر أحدا أرتق لخلل الرأي منه.

-ومدح أعرابي رجلا فقال: كان والله يغسل من العار، وجوها مسودة، ويفتح من الرأي، عيونا منسدة.

-ومدح أعرابي رجلا.. إن قال فعل، وإن وَلِي عدل.

-ومن مدحِهم.. كان والله رَكوبا للأهوال.

-كان والله للإخاء وَصولا، وللمال بَذولا.

-ذكر أعرابي رجلا فقال: إن جليسه لطِيبِ عشرته، أطربُ من الإبل علىٰ الحُداء، والثمل علىٰ الغناء.

-ومن مدحهم.. كأنه الوبْل عند المَحْل.

-ما رأيت أعشق للمعروف منه.

-مدح أعرابي بني برمك.. أنِسَت بهم النعمة، كأنها من بناتهم.

- قال أعرابي لأحد الملوك.. ما رأيت أعشقَ للمكارم-في زمان اللؤم- منك.

-أنشد أعرابي:

أهدىٰ من النّجم إن تأتيه مشكلة ❊❊ وعند إمضائه أمضىٰ من السيل

- قولهم في الذم:

-ذكر أعرابي قوما فقال: أولئك سُلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودُبغت وجوههم باللؤم.

-ذكر أعرابي قوما فقال.. فُصح الألسن بردّ السائل.

-ذم أعرابي رجلا.. كأنما يرىٰ السائل إذا أتاه، ملك الموت إذا رآه.

-ولو نزلت لعنة من السماء، لم تقع إلا عليه.

-يصومون عن المعروف، ويفطرون علىٰ الفحشاء.

-قال أعرابي لرجل.. تنظر نظر حسود، وتعرض إعراض حقود.

-ذم أعرابي رجلا.. الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.

-وقال أعرابي: دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار، علىٰ أجساد عبيد.

-لا مرض أوجعُ من قلة عقل.

-وذكر أعرابي رجلا.. لو دُقّت بوجهه الحجارة لرضّها، ولو خلا بالكعبة لسرقها.

-لا يخاف مع ذلك عاجل عار، ولا آجل نار، كالبهيمة أكلت ما جمعت، ونكحت ما وجدت.

-ذكر أعرابي رجلا فقال: عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه، وشهادات الأفعال، أعدل من شهادات الرجال.

-قال أعرابي.. من لم تُحْكمه التجارب، أسرع بالمدح إلىٰ من يستوجب الذم.

-قال أعرابي في رجل.. سمين المال، مهزول المعروف، من المرزوقين فجأة.

-قال أعرابي في المساور بن هند:

أتيت المساور في حاجة ❊❊ فما زال يسعل حتىٰ ضرط

وحكّ قفاه بكُرْسوعه (طرف زنده) ❊❊ ومسّح عُثْنونَه (لحيته) وامتخط

وقال غلطنا حساب الخراج ❊❊ فقلت من الضّرْط جاء الغلط

وكان كلما ركب صاح الصبيان: من الضرط جاء الغلط.

-وقال أعرابي لابن الزبير لا بوركت ناقة حملتني إليك. قال: إنّ وصاحبها. قوله: إنّ، يريد «نعم».

-قال أعرابي لأخيه لما سأل رجلا لم يعطه... نزلتَ والله بواد غير ممطور، وبرجل غير مبرور.

-قال أعرابي لامرأة.. تُكرمين من حقّرك، وتَحقِرين من أكرمك.

-وقال أعرابي في امرأة:

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها ❊❊ فإن عالَجَتْه صار فوق المحاجر

-وقال فيها:

لها جسم برغوث وساقا بعوضة ❊❊ ووجه كوجه القرد بل هو أقبح

وتفتح- لا كانت- فمًا لو رأيته ❊❊ توهّمته بابًا من النار يفتح

إذا عاين الشيطان صورة وجهها ❊❊ تعوّذ منها حين يمسي ويصبح

-قولهم في الغزل:

-ذكر أعرابي امرأة.. كل عضو منها، شمس طالعة.

-كاد الغزال أن يكونها، لولا ما تم منها، وما نقص منه.

-قال أعرابي.. إن لي قلبا مَروعا (فزِع)، وعينا دَموعا.

-قال أعرابي.. دخلت البصرة، فرأيت أعينا دُعجا (سود)، وحواجب زُجّا

(حسنة)، يسحبن الثياب، ويسلبن الألباب.

-قال أعرابي. تقطعت كبدي للعاشقين، لوم العاذلين قِرَطة (زينة) في آذانهم، ولوعات الحب حَبْرات (مسرات) علىٰ أبدانهم.

-ذكر أعرابي أمراة.. لو خضتُ إليها النار ما أَلِمْتُها.

-قال أعرابي في امرأة.. إن لساني لذكرها لذَلول، وإن حبّها لقلبي لقَتول.

-وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال.. كلامهنّ أقْتلُ من النبل، وأوقع بالقلب من الوبل بالمحل.

-قالت جارية للعتبي عندما غازلها.. أما لك ناهٍ من كرمٍ، إن لم يكن لك زاجرٌ من عقل؟.

-قال أعرابي في جارية:

فيا ربّ خذ لي رحمةً من فؤادها ** وحُلْ بين عينيها وبين فؤادي

-وقال في جارية ودّعها:

ثم استمرّت وقالت وهي باكية ** ياليت معرفتي إيّاك لم تكن

-أنشد أعرابي:

يا زين من ولدت حواء من ولد ** لولاك لم تحسُن الدنيا ولم تَطِب

-أنشد الرياشي لأعرابي:

تسيء سلمىٰ وأجزيها به حَسَنا ** فمن سواي يجازي السّوء بالحسن

-أعرابي يصف امرأة.. بيضاء جَعْدة (مكتملة)، لا يمس الثوب منها إلا مُشاشة (رأس العظم) كتفيها، وحَلَمَتَيْ ثدييها، ورَضَفَتَيْ (عظام) ركبتيها، ورانِفَتَيْ (أسفل) أَلْيَتيها.

-ذكر أعرابي امرأة.. تلك شمسٌ، باهتْ بها الأرض، شمسَ سمائها.

-قال أعرابي:

شكوت وما الشّكوىٰ لمثلي عادةٌ ** ولكن تفيض النّفس عند امتلائها

-قيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم علىٰ غير ما كان عليه.. قال: كان الحب في القلب، فانتقل إلىٰ المعدة.

-قولهم في الخيل.. كأنّ هَوَادِيها (أعناقها) أعلام، وآذانَها أطرافُ أقلام، وفرسانَها أسُودُ آجام.

-قولهم في الغيث:

-قيل لأعرابي: أي الألوان أحسن؟ قال: قصور بيض، في حدائق خضر.

-قال أعرابي: لقد رأيت بالبصرة برودا، كأنها صبغت بأنوار الربيع.

-قولهم في البلاغة والإيجاز:

-قيل لأعرابي.. من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظا، وأسرعهم بديهة.

-رد أعرابي علىٰ خطيب.. ما أنا من تخطيطك وتمطيطك في شيء.

-حضر أعرابي مجلس ابن عباس، فسمع.. وكنتم علىٰ شفا حفرة.. الآية. فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها، وهو يرجعكم إليها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

-قولهم في حسن التوقيع والتشبيه:

-يكفيك من القلادة، ما أحاط بالعنق.

-قال معاوية لأعرابية: هل من قِرىٰ؟ قالت:.. خبز خمير (طري)، ولبن فطير (طازج)، وماء نَمير (عذب).

-أضل أعرابي الطريق.. فلما طلع القمر اهتدىٰ، فرفع رأسه إليه متشكرا... فقال:.. جعلني الله فداك.

-أراد أعرابي بيع ناقته، فقيل صفها: قال.. ما طَلَبتُ عليها قط إلا أدركتُ، وما طُلِبتُ إلا فُت، قيل له: فلم تبيعها؟ قال:

وقد تُخرج الحاجاتُ يا أمّ عامر. ** كرائمَ من ربّ بهنّ ضنين

- قال شريح لأعرابي يشير بيديه.. لسانك أطول من يدك! قال: أسامريّ أنت لا تُمس؟.

-وقيل لأعرابي: ما عندكم في البادية طبيب؟ قال: حمر الوحش (الغزلان) لا

تحتاج إلىٰ بيطار.

-قولهم في المناكح:

-قالت أعرابية لزوجة أخيها: لقد كنتِ له تَبوعا، ومنه سَموعا؛ فلما لان منه ما كان شديدا، وأخلقَ منه ما كان جديدا، تغيرتِ له!.

- تزوج أعرابي امرأة فآذته، وافتدىٰ منها بحمار وجبة:

فأنقذني منها حماري وجبّتي ** جزىٰ الله خيرا جبتي وحماريا

-وُكَلَة تُكَلَة: إذا كان يكِلُ أمره إلىٰ الناس، ويتكل عليهم.

-تزوج أعرابي عجوزا لمالها، ثم تركها، فكتبت تسترده، فكتب لها:

ليس بيني وبين قيس عتاب ** غير طعنِ الكُلا وضربِ الرّقاب

فكتبت إليه: إنه والله ما يريد قيس غير طعن الكُلا.

-خطب أعرابي امرأة، فجعل يخطبها ويُنعظ، فضرب ذكره بيده وقال: مه! إليك يساق الحديث. فأرسلها مثلا.

* قولهم في الإعراب:

-الأصمعي قال: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذا لرجل سوء! قلت له: أفتجرّ فلسطين؟ قال: إني إذا لقوي.

-قال الهيثم بن عدي... يمين لا يحلف بها أعرابي أبدا: لا أورد الله لك صادرة، ولا أصدر لك واردة (أي لم يبق لك شيئا).

-قولهم في النوادر والملح:

-ولّىٰ بعضُ الولاة أعرابيا فخان المال، فقال له: يا عدو الله أكلت مال الله!. فقال: فمالَ مَن آكلُ، إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلسا واحدا فما فعل.

-أطعمتْ أعرابية ابن جعفر دجاجة كانت تدجنها.. فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك.

-مرّ أعرابي بقوم يَنشُد ابنا له، ووصفه كأنه دنينير. قالوا: لم نره.. فلما وجده وعليه جعل (خنفساء).. قال: القَرَنْبىٰ (دويبة كالخنفساء) في عين أمّها حسناء.

-بعد هلاك الحجاج خرج من سجونه ثلاثة وثلاثون ألفا وفيهم أعرابي أنشد:

إذا ما خرجنا من مدينة واسط ** خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

-قولهم في الطعام:

-اجتمع حدَثٌ وشيخ في سفر، والحدث يبطش بالطعام، وكان اسمه جعفر، والشيخ بلا أضراس، فقال:

لقد رابني من جعفر أن جعفرا ** يطيش بقُرصي ثم يبكي علىٰ جَمَل

فقلت له لو مسّك الحبّ لم تبت ** بطينا ونسّاك الهوىٰ شرَهَ الأكل

-أنشد أعرابي للأصمعي:

ألا ليت لي خبزا تسربل رائبا ** وخيلا من البَرْنيّ فرسانها الزّبد

فأطلب في ما بينهنّ شهادة ** بموت كريم لا يُعدّ له لَحْد

(البرني: جيد التمر)

-قال أعرابي.. كنت أشتهي ثريدة، دكناء من الفلفل، رقطاء من الحمص.. أضرب فيها، كما يضرب وليّ السوء، في مال اليتيم.

-قال أعرابي لرجل.. لو بتّ ضيفا لي، لأصبحت أبطَنَ من أمك، قبل أن تلدك بساعة.

-قال حاجب بعض الخلفاء لأعرابي: كل مما يليك. فقال: مَن أخْصَب تخيّر.

-بعض الكتاب يصفون أكولا:

لم أر مثل سَرْطه ومطّه

قال الثاني:

وأكلِه دجاجَه ببطّه

قال الثالث:

ولفِّه رُقاقَه بإقْطِه

قال الرابع:

كأنّ جالينوسَ تحت إبطه

-قال رجل من المدينة لأعرابي: ما تأكلون وما تعافون؟ قال له الأعرابي:

نأكل كل ما دب وهب.

-أحضر أعرابي لحما وسأل أولاده-بعدما أكله- كيف يأكلون العظم؟ فقال له الأكبر: ألوكه يا أبت، حتىٰ لا أدع فيه للذرّة مقيلا. قال: لستَ بصاحبه.. قال له الأصغر: أدقّه يا أبت، وأجعل إدامه المخ.

قال: أنت صاحبه، هو لك.

-عن محمد بن يزيد بن معاوية، أنه كان نازلا بحلب علىٰ الهيثم بن عدي، فبعث إلىٰ ضيف له من عُذْرة أعرابيّ، فقال له: حدّثْ أبا عبد الله، بما رأيت في حضر المسلمين من الأعاجيب.. (وصف الأعرابي لعرس في حلب).. عليهم ثياب حكَوا بها أنواع الزهر.. ثم رجع إليّ ما عزُب من عقلي.. (وصف الشاب) ينال فرع شعره كتفيه... لربّ عروس بالبادية، قد رأيته أهون علىٰ أصحابه من هن أمه.. جاء بخِرَق (صنف من الخبز)... من التخم والبشم.. وكان إلىٰ جانبي رجل ناصح لي- أحسن الله عني جزاءه-... أكثرتَ من الطعام، فإن شربتَ الماء همىٰ بطنُك... أمتعونا من لهوكم.. ما هذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البربط... فقلت: آمنت بالله.

-وقال أعرابي. تمرنا خُنس فُطْس، يغيب فيهن الضرس، كأن فاها ألسن الطير، تقع التمرة منها في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك.

-أكل أعرابي الفالوذج عند بعض الخلفاء فقال... إني لأجد ريقا هنيئا، ومُزدَردا لينا.. قال له الخليفة.. فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ. قال: كذبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك، لكان رأسك مثل رأس البغل.

-قيل لأعرابي يأكل في رمضان، ألا تصوم فقال:

وصائمٍ هبّ يلْحاني فقلت له ❋❋ اعمد لصومك واتركني وإفطاري

-قال سليمان بن عبد الملك لأعرابي علىٰ مائدته.. أرىٰ شعرة في لقمتك.. فقال: والله لا واكلتك أبدا!. فقال: استرها يا أعرابي، فإنها زلة، ولا أعود إلىٰ مثلها.

-قال أبو مهدية الأعرابي.. الأعراب والأعزاب هجاهما واحد.

-قيل له لما مات صغير له، لعله يكون شفيع صدق.. فقال: لا وكلَنا الله إلىٰ شفاعته.. يكون أعيانا لسانًا وأضعفَنا حجة، ليته المسكين كفانا نفسه.

-وقيل له: أكنتم تتوضؤون بالبادية؟ فقال.. نتوضأ فتكفي التوضئة الواحدة.. الثلاثة الأيام والأربعة.

-وقيل لأبي مهدية: ما أصبركم معشر الأعراب علىٰ البدو!. قال: كيف لا يصبر علىٰ البدو، من طعامه الشمس، وشرابه الريح.

-أخبار أبي الزهراء الأعرابي:

-أبو حماد الخياط. كان من أطلب الناس لكلام الأعراب.

- الأعرابي صَلَتان بن عوسجة (أبو الزهراء).. إذا نحن سألناه عن الشيء قال: ردّوا عليّ القوس والأتان.

-قال أبو الزهراء يصف بطيخة: هذا طعام طيّب يلين... في الجوف والحلق له سكون.

-قيل له تدخل الحمام دار فيها أبيات: حارّ، وفاتر، وبارد... وكان جلده أشعر كجلد عنز، فقلق ونازع للخروج.. هل بقي إلا أن أنسلخ، كما ينسلخ الأديم.. وجعل يقول:

فاليوم لو أبصرني جيراني ❋❋ عُريان بل أعْرىٰ من العريان

قد سقط الشّعر من الجثمان ❋❋ حُسبت في المنظر كالشّيطان

.. ولما خرج قال:

الحمد للمستحمد القهّار ❋❋ أنقذني من حرّ بيت النار

.. فإذا خضنا في النحو وذكرنا.. الكسائي.. جعل ينظر، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل... فقال أبو الحسن: إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها. فقال له: ثُكِلتَ وأثْكَلتَ! وهل تخطئ العرب؟ قال: بلىٰ. قال: علىٰ أولئك لعنة الله، وعلىٰ الذين أعتقوا مثلك!... فقال فيهم:

يسائلني بيّاع تمر وجَرْدَق (رغيف) ❋❋ ومازجُ أبوال له في إنائه

ومن ثالث لم أسمع الدهر باسمه ** يسمّونه من لؤمه سيبوائه

.. قيل له: كيف رأيت الكوفة؟ قال: أنكرت من أفعالكم الأكيال، والأوزان، وشكل النسوان.. جعل يقول:

أبلغْ بناتي اليوم أبلغْ بالصُّوىٰ ** قد كنّ يأملن إيابي بالغنىٰ

وقد تمنّين وما يغني المنىٰ ** بأنّ نفسي وردت حوض الرّدىٰ

كفاه ما لاقاه في الدّنيا كفىٰ.. ثم جعل يقول: اللهم اسمع دعاء عبدك إليك، وتضرعه بين يديك، واعرف له حق إيمانه بك، وتصديقه برسلك، صليتُ عليهم وسلمتُ؛ اللهم إني جانٍ مقترف، وهائب معترف، لا أدعي براءة، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي، وتجاوزك عني.. فبدل لي التعب والنصب، روحا وريحانا، وجنة نعيم.

-أعرابي يصف كساء:

من كان ذا بَتّ فهذا بَتّي (كساء غليظ)... مقيّظ مصيّف مشتي

نسجْتُه من نعجاتٍ ست

-قال أعرابي:

قالت سليمىٰ: ليت لي بَعْلا بمَنّ (كيل أو وزن)... يغسل رأسي ويسلّيني الحَزَن

-وقال أعرابي:

جاريتان حلفتْ أمّاهما ** أن ليس مغبونا من اشتراهما

-وقال أعرابي:

إنّ لنا لَكَنّه ** مِعَنّةٌ مِفنّه

سِمْعَنّةٌ نِظْرَنّه ** إلا تَرَه تَظُنّه

السمعنة النظرنة: المرأة التي إذا سمعت أو نظرت، فلم تر شيئا، تظنّت تظنيا. (معنة: معترضة. مفنة: تأتي بفنون العجائب).

-وقال ابن لبانة الأعرابي:

كريمة يحبها أبوها ** مليحة العينين عذبًا فوها

لا تحسن السّبّ وإن سبّوها

-خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها، فلم ينتشر له، فقالت له: قم خائبا! فقال: الخائب من فتح فم الجراب، ولم يُكل له دقيق. فخجلت ولم تردّ جوابا.

* * كتاب المُجَنَّبَة في الأجوبة:. الجوابات.. أصعب الكلام كلّه مركبا، وأعزه مطلبا، وأغمضه مذهبا، وأضيقه مسلكا، لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة، واستعمال القريحة. فهو.. تعرّض للأسنة، واستُهدف للمرامي.. وترك الرأي يغبّ حتىٰ يختمر؛ فقد كرهوا الرأي الفطير (بلا ثبت)، كما كرهوا الجواب الدَّبَريّ (بعد فوات الحاجة).. فلا يزال في نسج الكلام واستئناسه، حتىٰ إذا اطمأن شارده، وسكن نافره، صكّ به خصمه... يجاوب من غير أناة ولا استعداد، يطبّق المفاصل، وينفذ إلىٰ المَقاتِل.. فيحل به عراه، وينقض به مرائره (شدة فَتْلِه).. فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر... ويصرع منازعه بقول، كمثل النار في الحطب الجَزْل (اليابس).

-قال أبو الحسن (المدائني٢٢٥ه): أسرع الناس جوابا عند البديهة قريش، ثم بقية العرب، وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا، مع إصابة معنىٰ، وإيجاز لفظ.

-كان يقال: اتقوا جواب عثمان بن عفان.

-وقال رجل لعقيل: إنك لخائن، حيث تركت أخاك، وترغب إلىٰ معاوية. قال:

أخون مني والله من سُفك دمه بين أخي وابن عمي، أن يكون أحدهما أميرا.

-وقال له (معاوية) يوما: ما أبْيَن الشّبَق (شهوة الجماع) في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم أبْيَن يا بني أمية.

- وقال:.. والله إن فينا للينًا من غير ضعف، وعزًّا من غير جبروت؛ وأما أنتم يا بني أمية، فإن لينكم غدر، وعزكم كفر.

-وأنشد:

إني امرؤ مني التكرّمُ شيمةٌ ** إذا صاحبي يوما علىٰ الهُون أضمرا

- قال معاوية نعتَّها (الدنيا) أبا يزيد نعتًا هشّ لها قلبي.. والأمور أشباه.

-ابن عباس.. كان جريئا علىٰ معاوية حقّارا له.

-قال له معاوية.. علمتُ أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئتُ لأخذت بحلاقيمكم وقيّأتكم ما أكلتم، ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل.. فحتىٰ متىٰ أُغضي الجفون علىٰ القذىٰ، وأسحب الذيول علىٰ الأذىٰ، وأقول: لعل الله وعسىٰ.

-قال ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس ** حتىٰ رماه بما فيه ابن عباس

ما زال يُهبطه طورا ويُصعده ** حتىٰ استقاد وما بالحقّ من باس

-قال ابن أبي مُليكة: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيتَه رأيتَ أفصحَ الناس، وإذا تكلم فأعربَ الناس، وإذا أفتىٰ فأفقهَ الناس، ما رأيت أكثر صوابا، ولا أحضر جوابا، من ابن عباس.

-قال معاوية: أرىٰ انخداعي كرَما، وذلي حلما.

-قال ابن عباس لمعاوية.. فلستم بأجود منا أكفًّا، ولا أكرم أنفسا، ولا أصْوَن لأعراض المروءة.. والكفاف رضا من لا حق له.. ولا تلفظونا حتىٰ تذوقونا.

-قال معاوية لبني هاشم: إن خيري لكم لممنوح، وإن بابي لكم لمفتوح.. إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني.. فأقبل عليه ابن عباس فقال.. ما منحتنا شيئا حتىٰ سألناه، ولا فتحت لنا بابا حتىٰ قرعناه؛ ولئن قطعت عنا خيرك، لله أوسع منك.. ولولا حقنا في هذا المال، لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر.. كفَاك أم أزيدك؟ قال: كفاني، فإنك تَهِرّ ولا تَنبَح.

-قال ابن عباس في قريش.. أعظم الناس أحلاما، وأرفع الناس أعلاما.

-وقال لعمرو.. حملك معاوية علىٰ رقاب الناس، فأنت تسطو بحلمه، وتسمو بكرمه.

-وقال له لما ذكر صفين.. إن كنتَ فيها لطويل اللسان، قصير السنان.. لك يدان: يد لا تبسطها إلىٰ خير، وأخرىٰ لا تقبضها عن شر.

-فأجابه عمرو.. والله ما في قريش أثقل عليّ مسألة، ولا أمّر جوابا منك.. فإنه لا تُعلّم العَوان الخُمرة.

لساني طويل فاحترس من شَذَاته (شرِّه) ** عليك وسيفي من لساني أطول

.. ألقىٰ كلّ ذي قدر بقدره، وأرمي كلّ نابح بحجره، فمن عرف قدره، كفاني نفسه.. وأنشأ عمرو يقول:

وأوّلُ من يدعو نَزالِ طبيعةٌ ** جُبِلْتُ عليها والطّباع هو الجَبْلُ

وأني لا أعْيا بأمر أريده... وأني إذا عجّتْ بكارُكم فحل

–قال عمرو لابن عباس بعد مقتل علي... ما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا، ولسنا نقول: ليت الحرب عادت، ولكنّا نقول: ليتها لم تكن كانت.

–قال ذكوان مولىٰ الحسين في معاوية... فإن نطق نطق بعلم، وإن صمت صمت بحلم.

–قال معاوية لابن الزبير والحسن حاضر.. أما والله لئن دَفعتَ في بحور بني هاشم وبني عبد شمس، لقطّعتك بأمواجها، ثم لترمينّ بك في لججها... والله مالك في القديم من رياسة، ولا في الحديث سياسة، ولقد قدناك وسدناك قديما وحديثا، لا تستطيع لذلك إنكارا، ولا عنه فرارا.. فنحن الأرباب، وأنتم الأذناب.. أبا سفيان.. كان في الجاهلية عظيما شأنه، وفي الإسلام معروفا مكانه.. وكانت داره حرما.. هند.. في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخبر.. أيّنا أجود في الإزَم (الشدائد)، وأحزم في القُدُم، وأمنع للحُرَم.. مددتم علىٰ نسائكم السّجوف (الستر) وأبرزتم زوجته للحتوف، ومقارعة السيوف.. خمشتك براثينه، ونالتك مخالبه، وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها، أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادي السباع..

أكيلة سرحان فريسة ضيغم ** فقضْقضه بالكفّ منه وحطّما

–قال ابن الزبير لمعاوية.. لا تُطرق إطراق الأفعوان في أصول السّخبر (شجر تألفه الحيّات).

–قال معاوية لابن الزبير.. ما أراكم بمنتهين، حتىٰ يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة، ولا ترده مودّة، يسومكم خسفا، ويوردكم تلفا. قال ابن الزبير: إذا والله نطلق عِقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد، حافاتها الأسل (الرماح)، لها دويّ كدوي الريح.. قال معاوية: أنا ابن هند، أطلقتُ عِقال الحرب، وأكلت ذروة السنام، وشربت عنفوان المَكْرَع (أول الماء).. وليس للآكل بعدي إلا الفِلْذة، ولا للشارب إلا الرّنْق.

–إن الحسن لفَةٌ (عيٌّ).. الرّمّة: الرّوث.

-قال معاوية عن الحسن.. فإنهم قوم قد أُلْهموا الكلام.. فقال الحسن.. معشر بني هاشم، أفواهنا عذبةٌ شفاهها.. فخرج الحسن وهو يقول:

ومارستُ هذا الدهرَ خمسين حَجّة ** وخمسا أزجّي قائلا بعد قائل

-سأل معاوية أصحابه عن أعجب الأشياء.. قال عمرو. أعجب الأشياء، غلبة من لا حقّ له، ذا الحقّ على حقه.

-قال معاوية لعبد الرحمن بن الحارث.. يا بن أخي، ما أحوج أهلك إليك، فلا تفجعهم بنفسك. ثم أنشد:

أعزّ رجالا من قريش تتابعوا ** على سفه، مني الحيا والتكرم

-وقال لما سمع حديث رجال قريش.. يا أهل الشام، هؤلاء قومي، وهذا كلامهم.

-تنازع بعض أمراء بني أمية في حضور معاوية فقال أحدهم للآخر. إنك لتحل عرى مُلْك، شديدةٌ عُقدتُها.

-قال بعض أمراء الأمويين للخليفة في صفة أهل العراق.. فأما السامع المطيع المناصح، فإنا جزيناه ليزداد ودّا إلى ودّه، وأما المبغض المكاشح، فإنا دارينا ضغنه وسللنا حقده، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك.. هذا جبى الأموال، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال.

-وقع كلام بين ولد عمر بن عبد العزيز وولد سليمان.. فقال ابن سليمان.. ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي (هو من ولّاه).

-قال ابن مروان في صفة ابن الحكم.. أسْود أفْوَه (واسع الفم).

-قال الباهلي لابن معديكرب: إن مُهْرك لمُقرف (هجين). قال: هجين عرَف هجينا مثله.

-قال خارجي في زياد.. فما أقول في رجل أوله لَزَنْيَة، وآخره لَدِعْوة.

-قال جارية بن قدامة لمعاوية لما قال: أمي ولدتني للسيوف.. إنك لتهددني.. لم تفتتحنا قسرا، ولم تملكنا عَنوة.. إنا تركنا وراءنا رجالا شدادا، وألسنة حدادا.

-قال الأحنف لمعاوية... لئن مددت فِتْرا من غدر، لنمدّنّ باعا من خَتْر (أشد الغدر). ولنستصفين كدرَ قلوبنا، بصفو حلمك.

-طلب معاوية من الأحنف لعن علي فقال.. فوالله لا تجري فيه شفتاي أبدا.. لا أزيد علىٰ هذا، ولا أنقص منه حرفا، ولو كان فيه ذهاب نفسي.

-قال عقيل لمعاوية.. الكلام إلىٰ نية المتكلم.

-قال أبو الطفيل لما سأله معاوية عن حزنه علىٰ علي.. وجْدُ ثمانين مُثْكِلا. قال: فكيف حبك له؟ قال: حبّ أم موسىٰ.

-قال زيد بن علي بعدما خرج من عند هشام.. ما أحب أحد قط الحياة، إلا ذل.

-طلب معاوية البراءة من علي، فقال له تميمي.. نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم.

-قال معاوية للأنصار.. رأيت المنايا تتلظىٰ من أسنتكم، ولقد هجوتموني في أسلافي، بأشدّ من وخز الأسل.. يأبىٰ الحقِينُ العَذِرة (يضرب للمعتذر لا عذر له).. فأجابه قيس بن سعد.. أما هجاؤنا إياك، فقول يثبت حقّه، ويزول باطله.. فليس دون الله يد تحجزك منا.

-قال الرشيد لابن مزيد.. ما أكثر الخطباء في ربيعة؟ قال.. منابرهم الجذوع.

-طلب سليمان من ابن الرقاع إنشاده:

كُمَيت إذا شُجّت، وفي الكأس وردة ** لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له سليمان.. شربتَها ورب الكعبة. قال عدي: لئن رابك وصفي لها، قد رابني معرفتك بها.

-قال ابن صفوان لما تولىٰ ابن أبي بردة البصرة: سحابة صيف عن قليل تقشّع

فلما بلغ الوالي قوله، دعا به وقال: لا تقشع حتىٰ يصيبك منها شؤبوب بَرَد (دفعة مطر).

-كان بين شريك القاضي وصاحب شرطة المهدي تشاحن، فأغرىٰ المهدي به، فدعاه وقال: رأيتك في منامي مبغضا لي، وإني قاتلك لأنك زنديق. قال: يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تسفك بالأحلام؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف.. قال المهدي: صدقت، وأنت خير من الذي حملني عليك.

-قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قدم عليه من مصر: لقد سرت سيرة

عاشق. قال: والله ما تأبطتني الإماء، ولا حملتني البغايا، في غُبْرات المآلي (خرق الحيض).

–قيل للحضين بن المنذر لما كبر وكان خبيث الجواب، وكان تسور حائط امرأة، أمن الباب دخلت؟. قال: ضعف عمّك عن تسوّر الحيطان.. وقيل له: أرأيت هذه القدور.. ما أحسب بكر بن وائل رأىٰ مثلها؟ قال: أجل. ولا عيلان، ولو كان رآها سُمّي شبعان.

عزلنا وأمّرنا، وبكر بن وائل.. تجرّ خصاها تبتغي من تحالف

.. فأقبل قتيبة علىٰ مُحاوِر الحضين فقال: لا يَبْعَدُ اللهُ غيرَك.

–والحضين هذا هو القائل:

جزىٰ الله عني والجزاء بفضله ** ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

–قال ابن الجارود العبدي لعمرو: أي رجل أنت، لو لم تكن أمك ممن هي!. قال:.. فكرت فيها البارحة، فجعلت أنقلها في قبائل العرب، فما خطرت لي عبد القيس ببال.

–قال ابن صفوان لعبدري يفخر بموضعه من قريش: هشمتك هاشم، وأمّتك أميّة، وخزمتك مخزوم.

–الأجوبة المضحكة: (حكىٰ ابن مطيع لهشام لما حضر ابن عنبسة في زينته.. أن غلامه طعنه.. فصار يقول له أنت حر، ومن خوفه كلما دخل عليه أحد يقول: أنت حر. حتىٰ عاده إبراهيم فقال له: أنت حر. فضحك هشام حتىٰ استلقىٰ).

–قال ابن حسان لابن أبي صيفي.. أخبرني عن الفريعة.. قد تزوجها قبله أربعة، كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر.. لم تطلقين وأنت جميلة حلوة؟ قالت: يريدون الضيق، ضيّق الله عليهم.

–ودخل الزبرقان بن بدر علىٰ زياد، فسلّم تسليما جافيا، فأدناه زياد وأجلسه معه، ثم قال له: يا أبا عباس الناس يضحكون من جفائك! قال: ولم ضحكوا؟ فو الله إنْ منهم رجل، إلا ودّ أنّي أبوه دون أبيه، لِغَيّة كان أو لِرَشْدة (زَنْية).

–دخل الفرزدق علىٰ والي البصرة وعنده قوم من اليمامة يضحكون من جفائه،

فذكر لهم أنه رأىٰ في الحج رجلا علىٰ عاتقه صبي، وامرأة آخذة بمئزره، وهو يقول:

أنتَ وهبتَ زائدا ومِزْيدا ❋❋ وكهلةً أولجُ فيها الأجردا

وهي تقول: إذا شئتَ. فسألتُ: ممن الرجل؟ قال: من الأشعريين. فأنا أجفىٰ من ذلك الرجل. قال الوالي: لا حياك الله. علمت أنا لا نُفلت منك.

-قال موسوس يقف علىٰ مزبلة لمسلمة بن عبد الملك.. لو رآك أبوك آدم، لقرّت عينه بك.. وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا.

-قال الحارثي لرجل أسود في البادية.. لمن أنت يا أسود؟ قال: لسيد الحي يا أصلع.

قلت: ما أغضبك من الحق؟ قال لي: الحق أغضبك.

-أدخل مالك بن أسماء السجن، سجن الكوفة، فجلس إليه رجل من بني مرة، فاتكأ عليه المري يحدثه، ثم قال: أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: أما في الجاهلية فلا، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام. قال: ومن قتلنا منكم في الإسلام. قال:

أنا، قد قتلتني بنتن إبطيك.

-مرت امرأة علىٰ مجلس بني نمير، فقال رجل منهم: إنها لرسْحاء (قليلة لحم العَجُز).. قالت: ما أطعتم الله، ولا أطعتم الشاعر (غض البصر، فغض الطرف).

-هشام بن القاسم تجاهل الفرزدق في مجلس وقال: من الكهل؟ قال: وما تعرف الفرزدق؟ قلت: لا أعرف الفرزدق، إلا شيئا يفعله النساء عندنا يتشهّون به كهيئة السويق. قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم، يتشهّون بي.

-قال هشام للأبرش الكلبي: وجدنا في نساء كلب سعة. قال: يا أمير المؤمنين، نساء كلب، خلقن لرجال كلب.

-وقال له يوما وهو يتغدىٰ معه: يا أبرش، إن أكلك أكلُ معدّي. قال: هيهات، تأبىٰ ذلك قضاعة.

-سمع كندي رجلا يقول: وجدنا في نساء كندة سعة. فقال له: إن نساء كندة مكاحل، فقدت مراودها.

-لقي خالد بن صفوان الفرزدق وكان يداعبه، والفرزدق دميم. فقال له: ما أنت

بالذي لما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَ. فأجابه.. ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ.

-باع رجل ضيعة من رجل.. قال:. أخذتَها كثيرة المؤونة، قليلة المعونة. قال له المشتري: أخذتَها بطيئة الاجتماع، سريعة الافتراق (الدراهم).

-اشترىٰ رجل من رجل دارا.. فقال: لو صبرت، لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير. قال له البائع: وأنت لو صبرت، لاشتريت مني الذراع بدرهم.

-كان معن بن زائدة ضنينا في دينه (لا يبذله بسهولة).

-قال ابن أبي بردة لابن أبي علقة.. بعثتُ إليك، لأضحك بك.. وفي كمه طرائف، أتحف بها في الحبس.. قال: هو يوم سبت.. يعرّض بعمته اليهودية.

-نظر أزدي إلىٰ ابن الأحوز.. وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسىٰ.. فقال له المازني: هذا ضدٌّ، عيسىٰ كان يحيىٰ الموتىٰ، وذا يميت الأحياء.

-خرج هشام في حمص يوم مطر، فقال له رجل، وهو لا يعرفه: أفسدت ثوبك، أبا عبد الله. قال:

وما يضرك؟ قال: وددت أنك وهو في النار. قال: وما ينفعك؟.

-قال رجل من قريش، لما رأىٰ الحجاج بسيفه المحلىٰ يتبختر: من هذا التِّخْطارة (المغرور)؟.. قال الحجاح.. أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش.

-قال رجل من بني أبي لهب لابن منبه: ممن الرجل؟ قال: رجل من اليمن.

قال: فما فعلت أمكم بلقيس؟ قال: هاجرت مع سليمان لله رب العالمين.

-وقال رجل لابن شُبرُمة: من عندنا خرج العلم إليكم. قال: نعم، ثم لم يرجع إليكم.

-خال المهدي نظر إلىٰ ابن مزيد، وعليه رداء يماني يسحبه.. قال له: علىٰ آبائك عزله، وعليّ سحبه. فشكاه إلىٰ المهدي، فقال: لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد بن مزيد.

-دخل أبو يقظان القيسي علىٰ والي مصر، وعنده ابن خديج. فقال له يزيد: حرّكه! وعلىٰ أبي اليقظان حلة وشي.. فقال.. لبستم الوشي بعد العباء.. قال: أجل، تحوكون ونلبس.

-كتب الفرزدق إلىٰ المجاشعي يستهديه جارية وهو بعُمان، فكتب إليه:

كتبتَ إليّ تستهدي الجواري ** لقد أنعظت من بلد بعيد

-قال ابن صفوان-وكان أميا- لابن جعفر... لقد صرت حجة لفتياننا علينا.. قال له.. وأنت.. صرت حجة لصبياننا علينا... سيد بني جمح لا يقرأ آية ولا يخطّها.

-قال رجل لابن أشرس.. فإن حاجتي إليك، أن لا تسألني حاجة.

- جواب في فخر:

-قال الأبرش الكلبي لابن صفوان: هلم أفاخرْك.. لنا ربع البيت.. ومنا حاتم.. ومنا المهلب.. فقال خالد بن صفوان: منا النبي المرسل، وفينا الكتاب المنزل، ولنا الخليفة المؤمل. قال الأبرش: لا فاخرت مضريّا بعدك.

-قال عبد الملك بن الحجاج: لو كان رجل من ذهب لكنته. قال له رجل من قريش وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أَمَة بيني وبين آدم ما خلا هاجر. فقال له: لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب.

-قال معاوية لابن المغيرة.. منزلي الأبطح، ينشق عني سيله.

-تنازع الزّبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر، فقال الزبير: أنا ابن صفية. قال عثمان: هي أدنتك من الظل، ولولا ذاك لكنت ضاحيا.

-قال معاوية لمولىٰ زياد لما افتخر بسيده.. ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه، إلا أدركت أكثر منه بلساني.

-عتبة وأعرابي:... قال له عتبة: ممن أنت يا أعرابي؟ قال: من مذحج. قال: من زيدها الأكرمين، أو من مرادها الأطيبين؟

قال لست من زيدها ولا من مرادها. قال: فمن أيها؟ قال: فإني من حماة أعراضها، وزهرة رياضها، بني زبيد. قال: فأفحم عتبة حتىٰ وضع قلنسوته عن رأسه، وكان أصلع؛ فقال له الأعرابي: فأنت يا أصلع، ممن أنت؟ قال: أنا رجل من قريش.

قال: فمن بيت نبوّتها، أو من بيت مملكتها؟ قال: إني من ريحانتها بني مخزوم. قال:

والله لو تدري لم سمّيت بنو مخزوم ريحانة قريش، ما فخرت بها أبدا؛ إنما سميت

ريحانة قريش لخور رجالها، ولين نسائها. قال عتبة: والله لا نازعت أعرابيّا بعدك أبدا.

-فيروز ونميلة:

وضع فيروز بن حصين يده علىٰ رأس نميلة بن مالك عند زياد، فقال: من هذا العبد؟ قال: أنت والله العبد، ضربناك فما انتصرت، ومننّا عليك فما شكرت.

-مالك بن مسمع وابن ظبيان:

اجتمعت بكر بن وائل إلىٰ مالك بن مسمع لأمر أراده مالك، فأرسل إلىٰ بكر بن وائل، وأرسل إلىٰ عبيد الله زياد بن ظبيان، فأتىٰ عبيد الله فقال: يا أبا مسمع، ما منعك أن ترسل إليّ؟ قال: يا أبا مطر، ما في كنانتي سهم أنا أوثق به مني بك. قال:

وإني لفي كنانتك؟ أما والله لئن كنت فيها قائما لأطولنّها، ولئن كنت فيها قاعدا لأخرقنّها.

-ابن مسمع وشقيق:

نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور، فقال له مالك: إنما شرّفك قبر بتستر. قال شقيق: لكن وضعك قبر بالمُشَقّر. وذلك أن مسمعا أبا مالك جاء إلىٰ قوم بالمشقر، فنبحه كلبهم، فقتله، فقتلوه به؛ فكان يقال له: قتيل الكلاب.

-قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح: أيّ رجل أنت لو كانت أخوالك من غير سلول. فبادل بهم. قال: أصلح الله الأمير، بادل بهم من شئت وجنّبني باهلة. وكان قتيبة من باهلة.

-قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الواثق: أضوىٰ، أي اسكت، بالنبطية؛ فقال له: لماذا؟ والله ما أنا بنبطي، ولا بدعي. قال له: ليس فوقك أحد يفضلك، ولا دونك أحد تنزل إليه، فأنت مطّرح في الحالتين جميعا.

-هو والواثق:

قال أحمد بن أبي دؤاد: دخلت علىٰ الواثق؛ فقال: ما زال قوم اليوم في ثلْبك ونقصك. فقلت: يا أمير المؤمنين لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فالله ولي جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه، ولا ذلّ من كنت ناصره؛ فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال أبا عبد الله:

وسعىٰ إليّ بعيب عَزّة نسوة *** جعل المليك خدودهنّ نعالها

-خطب خالد بن عبد الله القسري فقال: يا أهل البادية، ما أخشن بلدكم، وأغلظ معاشكم، وأجفىٰ أخلاقكم؛ لا تشهدون جمعة، ولا تجالسون عالما. فقام إليه رجل منهم دميم، فقال: أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا، وغلظ طعامنا، فهو كذلك، ولكنكم معشر أهل الحضر، فيكم ثلاث خصال، هي شر من كل ما ذكرت. قال له خالد: وما هي؟ قال: تنقبون الدّور، وتنبشون القبور، وتنكحون الذّكور. قال: قبحك الله،

وقبح ما جئت به.

-قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي (ابن حبيب): وددت والله أن بني تميم جميعا في جوفي؛ علىٰ أن يضرب وسطي بالسيف. قال له شيخ في ناحية المجلس، حِرْمازيّ من بني تميم: ما هذا، يكفيك من ذاك كمرة حماريّة (حشفة)، تملأ بها استك إلىٰ لهاتك.

-بين أعرابيين:

سأل أعرابي شيخا من بني مروان، وحوله قوم جلوس، فقال: أصابتنا سنة، ولي بضع عشرة بنتا. فقال الشيخ: أما السنة، فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفيحة من حديد، وأما البنات، فليت الله أضعفهن لك أضعافا كثيرة، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين، ليس لهن كاسب غيرك. قال: فنظر الأعرابي مليا، ثم قال: ما أدري ما أقول لك، ولكني أراك قبيح المنظر، لئيم المخبر، فأعضّك الله ببظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك.

-سأل أعرابيّ شيخا من الطائف، وشكا إليه سنة أصابته، فقال: وددت والله أن الأرض حصّاء لا تنبت شيئا. قال: ذلك أيبس لجَعْر (عذرة) أمك في استها.

-قال: عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزرعة بن ضمرة الضمري: إني لو أدركتك يوم الأهواز، لقطعت منك طابقا شحيما. قال: أفلا أدلك علىٰ طابق شحيم هو أولىٰ بالقطع؟ قال: بلىٰ! قال: البظر الذي بين إسكتي أمك (شفرتَيْ).

-قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم: متىٰ فقئت عينك؟ قال يوم طعنتك في استك وأنت مولٍّ.

-وقال الفرزدق: ما عييت بجواب أحد قطّ، ما عييت بجواب امرأة وصبي

ونبطي... أما الصبي، فإني كنت أنشد بجامع البصرة، وفي حلقتي الكميت بن زيد وهو صبي، فأعجبني حسن استماعه، فقلت له:

كيف سمعت يا بنيّ؟ قال لي: حسن! قلت: فسرّك أني أبوك؟ قال: أما أبي فلا أريد به بديلا، ولكن وددت أن تكون أمي. قلت: استرها عليّ يا ابن أخي، فما لقيت مثلها.

-لقي جرير الفرزدق بالكوفة، فقال أبا فراس: تحتمل عني مسألة؟ قال: أحتملها بمسألة. قال: نعم. قال: فسل عما بدا لك. قال: أي شيء أحب إليك، يتقدمك الخير أو تتقدمه؟ قال: لا يتقدمني ولا أتقدمه، ولكن أكون معه في قِران.

-بين الجماز وضيف:

ضاف رجل قبيح الوجه دنيّ الحسب، أبا عبد الله الجمّاز: فجعل يفخر ببيته؛ فقال له الجماز: اسكت، فقباحة وجهك، ودناءة لفظك، يمنعاننا من سبّك.

* كتاب الواسطة: في الخطب: فرش الكتاب.. تفاخرت بها العرب في مشاهدهم، ونطقت بها الأئمة علىٰ منابرهم، وشهرت بها في مواسمهم، وقامت بها علىٰ رؤوس خلفائهم؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم، ووصلتها بصلواتهم، وخوطب بها العوام، واستُجْزلت لها الألفاظ، وتُخِيرت لها المعاني.

ثم نذكر بعض خطب الخوارج؛ لجزالة ألفاظهم، وبلاغة منطقهم، كخطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا؛ فإنها معدومة النظير، منقطعة القرين؛

وخطبة أبي حمزة التي... شكك فيها المستبصر، وردّد فيها المرتاب، ثم نسمح بصدر من خطب البادية، وقول الأعراب خاصة؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه، وموارده ومصادره.

-قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشي المخزومي: من أخطب الناس؟ قال: أنا. قال: ثم من؟ قال: شيخ جُذام. يعني رَوْح بن زِنْباع، قال: ثم من؟ قال: أخيّفش ثقيف. يعني الحجاج، قال: ثم من؟ قال: أمير المؤمنين.

-قال محمد كاتب المهدي- وكان شاعرا راوية، وطالبا للنحو علّامة- قال: سمعت أبا دؤاد يقول- وجرىٰ شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام- فقال: تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق في غير أهل البادية نقص، والنظر في عيوب الناس عيّ، ومسح اللحية هُلْك، والخروج عما بني عليه الكلام إسهاب.

قال: وسمعته يقول: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدُّربة، وحَلْيها الإعراب، وبهاؤها تخيّر اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه.

وأنشدني في عيّ الخطيب واستعانته بمسح العُثنون (اللحية) وفتل الأصابع:

مليء ببَهْرٍ والتفاتٍ وسُعلة ** ومسحة عُثنون وفتل الأصابع

-مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة السكوني الخطيب، وهو يعلّم فتيانهم الخطابة؛ ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره، فيها: خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الاستماع، وأحلىٰ في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف، ومعنىٰ بديع؛ واعلم أنّ ذلك أجدىٰ عليك، مما يعطيك يومك الأطول، بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة، ومهما أخطأك، لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، وخفيفا علىٰ اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه، ونجَم من معدنه؛ وإياك والتوعّر، فإنّ التوعر يسلمك إلىٰ التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراد معنىٰ كريما، فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حق المعنىٰ الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، فكن في ثلاثة منازل: فأوّل ذلك أن يكون لفظك رشيقا عذبا، أو فخما سهلا؛ ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت؛ وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال؛ وكذلك اللفظ العامي والخاصي؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة لفظك، ولطف مداخلك، وقدرتك في نفسك- أن تفهم العامّة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المتوسطة، التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فقال له إبراهيم بن جبلة: جُعلتُ فداك، أنا أحوج إلىٰ تعلمي هذا الكلام، من هؤلاء الغَلَمَة.

-خطب أبو بكر يوم السقيفة:

أيها الناس، نحن المهاجرون، أمسّهم رحما برسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم؛ أسلمنا قبلكم، وقُدّمنا في القرآن عليكم،

لا تَدين العرب إلا لهذا الحي من قريش،

جَذْل الظاهر، حزين الباطن،

وخطب أيضا: دينهم بدعة، ودعوتهم فرية،

ولزوم الحق في ما أحببتم وكرهتم؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير... وإياكم والفخر؛ وما فخرُ من خلق من تراب، وإلىٰ التراب يعود.

فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم؛ فالوَحَىٰ الوَحَىٰ (الإسراع)، والنجاء النجاء، فإن وراءكم طالبا حثيثا مَرُّه، سريعا سيرُه.

-خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أيها الناس.. لا يلومن رجل إلا مُناخ راحلته... ابتليتُ بكم، وابتليتم بي... فلئن أحسنوا لأحسننّ إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم... إن استغنيتُ عففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، تقرّم البَهْمَة الأعرابية.. القضم «الأكل بأطراف الأسنان» دون الخضم «الأكل بأقصىٰ الأضراس».

... ألا من رأينا منه خيرا، ظننا به خيرا، وأحببناه عليه، ومن رأينا منه شرا، ظننا به شرا، وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم وبين ربكم.

... اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة بمَضِيعَة، اللهم قد ضرعَ الصغير، ورقّ الكبير، وارتفعت الشكوىٰ، وأنت تعلم السرّ وأخفىٰ؛ اللهم أغثهم بغياثك، قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روح الله، إلا القوم الكافرون.

فما برحوا حتىٰ علّقوا الحذاء، وقلصوا المآزر، وطفق الناس بالعباس يقولون:

هنيئا لك يا ساقي الحرمين.

-خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

فلا يدّعين مدّع إلا علىٰ نفسه، شُغِل من الجنة والنار أمامه... ألا إن الأبرار عترتي

... الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه، ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء، وألزمه الصَّغار، وسامه الخسف، ومنعه النّصَف، فوا عجبا من جدّ هؤلاء في باطلهم، وفشلكم عن حقكم،

جرعتموني الموت أنفاسا...

فإذا جاء القتال قلتم:

حِيدي حَيَاد (تنحي عني أيتها الحرب)، ما عزّتْ دعوةُ من دعاكم؛ ولا استراح قلب من قاساكم؛ أعاليل بأباطيل؛ وسألتموني التأخير؛ دفاع ذي الدَّيْن الممطول؛ ألا لا يدفع الضيم الذليل، ولا يُدرك الحقُّ إلا بالجِدّ.

الله بعث محمدا صلّىٰ الله عليه وسلم... والعرب بشرّ المنازل... فرأب الله به الثأْي (الفساد)، ولأَمَ به الصدع، ورتق به الفتق، وأمّن به السبيل، وحقن به الدماء، وقطع به العداوة الموغِرة للقلوب، والضغائن المُشْحِنة للصدور؛ ثم قبضه الله تعالىٰ مشكورا سعيُه، مرضيا عملُه، مغفورا ذنبُه.. وتداكَكْتُم عليّ تداكُكَ (ازدحام) الإبل الهِيم (العطاش)، علىٰ حياضها يوم ورودها... اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما... أصبحتُ أذكر أرحاما وآصرة... بُدلتُ منها هُوِيّ الرّيح بالقصب،

لكانت الوثقىٰ التي لا تقلع... أُداوىٰ بكم وأنتم دائي؛ إني والله بكم، كناقش الشّوكة بالشوكة،

أولئك إخواني الذاهبون ** فحقّ البكاء لهم أن يطيبا

رزقت حبيبا علىٰ فاقة ** وفارقت بعد حبيب حبيبا!

أقوّمهم والله غدوة، ويرجعون إلىٰ عشية، مثل ظهر الحية

... ضلت هناك تصاريف الصفات، وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير، وانقطعت دون علمه جوامع التفسير، وحالت دون غيبه حجب، تاهت في أدنىٰ دنوّها طامحات العقول... والواصفون لا يبلغون نعته... لم تغيّره صروف الأزمان، ولا يتكاءده (يشق عليه) صنع شيء منها كان

... تناسختهم أكارم الأصلاب، إلىٰ مطهّرات الأمهات... أفضت كرامته إلىٰ محمد صلّىٰ الله عليه وسلم؛ فأخرجه من أفضل المعادن محْتِدا، وأكرم المغارس مَنْبِتا، وأمنعها ذروة، وأعزها أرومة، وأوصلها مكرمة، من الشجرة التي صاغ منها أُمَنَاء، وانتخب منها أنبياء، شجرة طيبة العود، معتدلة العمود، باسقة الفروع، مخضرة الأصول والغصون، يانعة الثمار، كريمة المجتنىٰ، في كرم نبتت، وفيه بسقت وأثمرت، وعزت فامتنعت، حتىٰ أكرمه الله بالروح الأمين... سراج لمع ضوؤه، وزَنْدٌ برِقَ لمعه، وشهاب سطع نوره... سيرته القصد، وسنته الرشد؛ وكلامه فصل، وحكمه عدل...

ـ... الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليه... خشعت له الأصوات، وكلّت دونه الصفات، وضلت دونه الأوهام، وحارت دونه الأحلام، وانحسرت دونه الأبصار... يقضي بعلم، ويعفو بحلم... يعلم ما تكنّ الصدور، وما ترخىٰ عليه الستور...

... اللهم لك الحمد عدد... ما تجري به الريح، وتحمله السحاب...

لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر...

فمن قرع سنه، وأعمل فكره...

لم يسكنوا الأصلاب، ولم تضمّهم الأرحام؛ أنشأْتَهمْ إنشاء...

فسبحانك خالقا، ومعبودا، ومحمودا... أقبلنا كلنا علىٰ جيفة، نأكل منها، ولا نشبع... واصطلحنا علىٰ حبها، فأعمت أبصار صُلّاحنا وفقهائنا...

فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة الفوت، وحسرة الموت...

فصار جسدا ملقىٰ لا يجيب داعيا، ولا يسمع باكيا...

فأثاب أهل الطاعة بجواره، وحلول داره، وعيش رغد، وخلود أبد...

لا مدة للدار تنقضي، ولا أجل للقوم ينتهي.

... لا خير في قراءة إلا بتدبّر ولا في عبادة إلا بتفكّر.

ـ... يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة! رغا فأجبتم، وعُقِر فهربتم.

-خطب معاوية:

وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عنّىٰ (أضر)، وإذا قلّ أغنىٰ (كفىٰ)، وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدّر النعمة.

ـ... ولست واسعا كلّ الناس؛ فإن كانت محمدة، فلا بدّ من مذمة، فلَوْنًا هَوْنًا إذا ذكر غفر؛ وإياكم والتي إن أُخفيت أوبقت، وإن ذُكِرَتْ أوثقت.

ـ... يعيبون الشيء وهم فيه، كل امرئ منهم شيعة نفسه، فاقبلوا بما فينا، فإن ما وراءنا شرّ لكم، وإن معروف زماننا هذا، منكر زمان قد مضىٰ، ومنكر زماننا، معروف

زمان لم يأت، ولو قد أتىٰ، فالرّتق خير من الفتق، وفي كلّ بلاغ، ولا مقام علىٰ الرزية.

-خطبة ابن زياد عند معاوية:

... صريح العقوق مكاتمة الأدنين... أحمد الله إليكم علىٰ الآلاء، وأستعينه علىٰ اللأواء، وأستهديه من عمىً مجهد، وأستعينه علىٰ عدو مُرصِد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق، من شقاء هاوٍ، ومن غَواية غاوٍ، وصلوات الله علىٰ الزكي، نبيّ الرحمة، ونذير الأمّة، وقائد الهدىٰ (عدم الاقتصار علىٰ مقدمات الخطب المأثورة)

... فكان تِرْب عامّته، وواحد رعيّته، فلا تشخص إليه عين ناظر، ولا أصبع مشير، ولا تذلق عليه ألسن، كلَمَتْه حيا، ونبشته ميتا.

... حاباك زياد بجدّ هصور، وعزم جسور، حتىٰ لانت شكائم الشّرس، وذلت صعبة الأشوس (المتكبر)... لنا من خيرك أكمله، وعليك من حوبنا أثقله.

قال: فتصفّحهم معاوية بلحظه رجلا رجلا وهو متبسم،

فقال معاوية:... فرب خير مستور، وشر مذكور... عامل اصطناعي له بالكفر لما أوليته... ولا قلتُ إلا عاند، ولا قمتُ إلا قعد... وقد أوقع بخَتْره (غدره)... حتىٰ انتكث المُبرَم، وانحل عقد الوداد... فأنت نجل الدَّغَل (الفساد)، وعترة النّغَل (الهجين).

فقال يزيد:... وله مواطن معدودة بخير، لا يفسدها التظنّي، ولا تغّيرها التهم.

وخطب معاوية أيضا:

... ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدّثار... فاردد أهل الشام إلىٰ بلادهم، لا يقيموا في غير بلادهم، فيتأدبوا بغير آدابهم... فأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وَقَذه (غلبه) الورع... وأما ابن الزبير، فإنه خَبٌّ ضَبّ (مراوغ خدَّاع).

_ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولىٰ له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك، فقال: فوالله ما لهم بعدي إلا الذي يسوؤهم...

إنا قد أصبحنا في دهر عَنود، وزمن شديد، يعد فيه المحسن مسيئا، ويزداد الظالم فيه عتوا، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عما جهلنا، ولا نتخوّف قارعة، حتىٰ تحل بنا... وزخرف نفسَه للأمانة، واتخذ ستر الله ذريعة إلىٰ المعصية؛ ومنهم من أقعده عن طلب الملك، ضؤولة نفسه، وانقطاع سببه... فتحلىٰ باسم القناعة، وتزيّا بلباس الزهادة... فهم

بين شريد باد، وبين خائف منقمع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجَع ثكلان؛ قد أخملتهم التّقيّة، وشملتهم الذلة؛ أفواههم ضامرة، وقلوبهم قرحة؛ قد وُعظوا حتىٰ ملوا، وقُهروا حتىٰ ذلوا؛ وقُتلوا حتىٰ قلّوا؛ فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القَرَظ (ورق الشجر)، وقُراضة الجَلَمين (طرفي المقص)؛ واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، وارفضوها ذميمة، فقد رَفضتْ من كان أشغف بها منكم.

-خطب يزيد بن معاوية:

... وكان دون من قبله، وخيرا مما يأتي بعد، ولا أزكّيه عند ربه، وقد صار إليه؛ فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبذنبه.

_... ثم إني أحذّركم الدنيا... أينعت بالفاني، وتحببت بالعاجل، لا يدوم نعيمها، ولا تُؤمن فجيعتها، أكّالة عوّالة غرّارة...

إن أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة، كتاب الله.

-قال أبو إسحاق النظّام للخليفة عبد الملك: والله ما أخذتها بوراثة، ولا سابقة، ولا قرابة، ولا بدعوىٰ شورىٰ، ولا بوصية.

-خطبة الوليد بن عبد الملك

... موت وليّ هذه الأمة، ونحن نرجو أن يصير إلىٰ منازل الأبرار، للذي كان عليه، من الشدة علىٰ المريب، واللين علىٰ أهل الفضل والدين، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه، وحجّ هذا البيت، وغزو هذه الثغور،

واعلموا أنه من أبدىٰ لنا ذات نفسه، ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه.

-خطب سليمان بن عبد الملك:

... ألا إنّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تُضحك باكيا، وتُبكي ضاحكا، وتُخيف آمنا، وتُؤمّن خائفا، وتُفقر مثريا، وتُثري مقترا، ميّالة، غرارة، لعّابة بأهلها.

-خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه:

... إنه ما بُسِط أملُ، من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسائه، أو يمسي بعد إصباحه، وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا

... (استعراض الحرس) فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد، وعليه قميص كتان، وعمامة علىٰ قلنسوة لاطئة (طاقية)، فمثُلْنا بين يديه، وسلمنا عليه، فقال: مه! أنتم جماعة، وأنا واحد؛ السلام عليّ والردّ عليكم... يا رجاء، إني أكره المباهاة.

-خطبة بن الأهتم بين يدي عمر بن عبد العزيز:

... فلم يبرح يفصل أوصالهم، ويسقي الأرض دماءهم... وخلط الشدة

باللين، وحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعد للأمور أقرانها، وللحرب آلتها... ثم إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما، إلا علىٰ ضلع أعوج، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا، ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، فلما وليتها، ألقيتها وأحببت لقاء الله وما عنده؛ فالحمد لله الذي جلا بك حوبتنا، وكشف بك كربتنا، امض ولا تلتفت، فإنه لا يغني عن الحق شيء.

-خطب عمر بن عبد العزيز:

... حتىٰ يستوي عيشنا وعيشكم؛ وايم الله إني لو أردت غير هذا، من عيش أو غضارة، لكان اللسان به ناطقا ذلولا.

-خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد.. لكني خرجت غضبا لله ودينه، وداعيا إلىٰ كتابه وسنة نبيه، حين دَرَستْ معالمُ الهدىٰ، وطفئ نور أهل التقوىٰ، وظهر الجبار العنيد المستحيل الحرمة، والراكب البدعة، والمغيّر السنة... ولا أنقل مالا من بلد إلىٰ بلد، حتىٰ أسد فقره، وخصاصة أهله، وأقيم مصالحه... فإن فضَلَ شيء، رددته إلىٰ البلد الذي يليه، وهو من أحوج البلدان إليه، حتىٰ تستقيم المعيشة بين المسلمين، وتكونوا فيه سواء... وإن رأيتم أحدا أقوىٰ عليها مني، فأردتم بيعته، فأنا أول من يبايعه، ويدخل في طاعته.

-خطب بني العباس:

قيل لمسلمة بن هلال العبدي: خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة، لم يُسمع أحسن منها، وما درينا أوجهه كان أحسن أم كلامه؟ قال: أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون، وبلسان النّبوة ينطقون.

-خطبة أبي العباس السفاح بالشام:

... ولتعظكم مصارع أوائلكم، فتلك مصارعهم خاوية بما ظلموا.

-خطب المنصور:

... أحرز لسانٌ رأسَه. انتبَهَ امرؤ لحظَه. نظر امرؤ في يومه لغده؛ فمشىٰ القصد، وقال الفصل، وجانب الهُجْر... ثم أخذ بقائم سيفه، فقال: أيها الناس، إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفائه؛ فليعْتبِرْ عبدٌ، قبل أن يُعْتبَرَ به.

_... مهلا مهلا زوايا الإرجاف... قبل أن تتلف نفوس، ويقلّ عدد، ويدول عز.. ألم تجدوا ما وعد ربّكم من إيراث المستضعفين... والجحد الجحد، ولكن خِبّ كامن، وحسد مُكْمَد.

_... أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده؛ وحارسه علىٰ ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه؛ فقد جعلني الله عليه قَفْلا... وسلوه أن يوفقني للرشاد وللصواب، وأن يلهمني الرأفة بكم، والإحسان إليكم.

-خطبة لسليمان بن علي:

... وبعدا للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة غرضا، والفيء إرثا، والدين هزوا، وجعلوا القرآن عضين.

-خطب صالح بن علي.. يا أعضاد النفاق، وعَمَد الضلالة، أغرَّكم لينُ إبساسي، وطول إيناسي (يضرب مثلا في المداراة)، حتىٰ ظن جاهلكم أن ذلك لفُلولِ حدّ، وفتور جدّ، وخوَر قناة! كذبت الظنون؛ فإذا قد استوليتم العافية، فعندي فصال وفطام، وسيف يقدّ الهام، وإني أقول:

أغرّكم أنّي بأكرم شيمة ** رفيق وأنّي بالفواحش أخرق

ومثلي إذا لم يجز أحسن سعيه ** تكلم نعماه بديها فتنطق

لعمري لقد فاحشتني فغلبتني ** هنيئا مريئا أنت بالفحش أرفق

-خطب داود بن علي:

أما آن لراقدكم أن يهب من نومه؟

أغركم الإمهال، حتىٰ حسبتموه الإهمال؟ هيهات منكم، وكيف بكم، والسوط في

كفي، والسيف مشهر:

حتىٰ يبيد قبيلة فقبيلة ** ويعضّ كلّ مثقف بالهام

ويقمن ربات الخدور حواسرا ** يمسحن عرض ذوائب الأيتام

-خطبة المهدي.. أرسله بعد انقطاع الرجاء، وطموس العلم، واقتراب من الساعة، إلىٰ أمّة جاهلية، مختلفة أمية، أهل عداوة وتضاغن، وفرقة وتباين

... فإن الدنيا دار غرور... من ركن إليها حرمته، ومن وثق بها خانته؛ ومن أملها كذبته، ومن رجاها خذلته؛ عزّها وغناها فقر؛ والسعيد من تركها، والشقيّ فيها من آثرها.

-خطبة هارون الرشيد:

... حصّنوا إيمانكم بالأمانة، ودينكم بالورع، وصلاتكم بالزكاة.

-خطب المأمون... إن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة الواحدة، لجديرة بقصر المدّة... والشيطان موكّل به، يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها، حتىٰ تهجم عليه منيته، أغفلَ ما يكون عنها.

-خطبة المأمون يوم الأضحىٰ:

قال بعد التكبير والتحميد (فقه): إن يومكم هذا، يومٌ أبان الله فضله، وأوجب تشريفه، وعظّم حرمته، ووفّق له من خلقه صفوته، وابتلىٰ فيه خليله، وفدىٰ فيه من الذبح العظيم نبيّه... فوالله إنه الجدّ لا اللعب، والحقّ لا الكذب.

-خطبة المأمون في الفطر:

قال بعد التكبير ولتحميد: ألا وإن يومكم هذا، يوم عيد وسنّة، وابتهال ورغبة.

-خطبة عبد الله بن الزبير:

(وكان أول من خطب إلىٰ جانب المنبر) فقال:

الحمد لله الذي ألفّ بين قلوبنا، وجعلنا متحابين بعد البِغْضة... كان يسير بنا الأبردين (الغداة والعشي)، ويخفض بنا في الظهائر (جمع ظُهر)، ويتخذ الليل جملا... فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة، نتأنّاهم... فنهض إليه أبوه الزبير، فقبل بين عينيه وقال: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. يا بُنّي: ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتىٰ صَمَتَّ.

-خطبة للإمام علي كرم الله وجهه. جاء رجل إلىٰ عليّ كرم الله وجهه فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا ربنا، لنزداد له محبة، وبه معرفة... الحمد لله الذي لا يَفِرْهُ المنع (يكثره)، ولا يكديه الإعطاء (قطع ومنع)... هو المنان بفرائد النعم، وعوائد المزيد... فعنده من الأفضال، ما لا يُنفده مطلب وسؤال... لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب، ولا يبرمه إلحاح الملحين بالحوائج... وهو الذي عجزت الملائكة، علىٰ قربهم، من كرسي كرامته... أن يعلموا من علمه إلّا ما علّمهم... فمدح الله اعترافهم بالعجز، عما لم يحيطوا به علما... فاقتصرْ علىٰ هذا، ولا تقدّرْ عظمة الله علىٰ قدرِ عقلك، فتكون من الهالكين؛ واعلم أن الله الذي لم يحْدُث، فيمكن فيه التغير والانتقال... هو الذي خلق الخلق علىٰ غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذىٰ عليه، من خالق كان قبله، بل أرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ربوبيته، مما نطقت به آثار حكمته... ولم تحط به الصفات، بإدراكها إياه بالحدود متناهيا... انحسرت العيون عن أن تناله، فيكون بالعيان موصوفا، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا؛ وفات لعلوّه عن الأشياء، مواقع وهم المتوهمين؛ وليس له مثل، فيكون بالخلق مُشْبِها... وقد ضل في إدراك كيفيته، حواسّ الأنام: لأنه أجل من أن تحدّه ألباب البشر بنظير... ومن ملائكته مَن السموات إلىٰ حُجزته، وسائر بدنه في جِرْم الهوام الأسفل... ومن ملائكته من لو ألقيت السّفن في دموع عينيه، لجرت دهر الداهرين...

-خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب:

صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم سكت... فقال رجل من قريش لرجل إلىٰ جانبه: ماله لا يتكلم؟ فوالله إنه للبيب الخطباء.

-خطبة زياد البتراء:

... اللهم كما زدتنا نعما، فألهمنا شكرا... أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات... ألم يكن منكم نُهاة تمنع الغُواة... كلّ امرئ منكم يذبّ عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معادا... حرام عليّ الطعام والشراب، حتىٰ أسويها بالأرض هدما وإحراقا... لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذنّ الوليّ بالمولىٰ، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح بالسقيم؛ حتىٰ يلقىٰ الرجل منكم أخاه، فيقول انجُ سعد، فقد هلك سعيد. أو تستقيم لي قناتكم. إنّ كذبة الأمير، بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة، فقد حلت لكم معصيتي... وإياي ودعوىٰ

الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها، إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثا، لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة... وقد كانت بيني وبين قوم إحَن (أحقاد)،

فجعلت ذلك دَبْر أذني، وتحت قدمي... أيها الناس: إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة... فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم... ومتىٰ يصلحوا تصلحوا... أسأل الله أن يعين كلا علىٰ كل. وإذا رأيتموني أنفذ فيكم أمرا، فأنفذوه علىٰ أذلاله (طرقه)، وايم الله إن لي فيكم لصرعىٰ كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم، أن يكون من صرعاي...

فقام الأحنف بن قيس فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثني حتىٰ نبتلي. قال له زياد: صدقت!

_وخطب: استوصوا بثلاث منكم خيرا: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شيخ بحدث استخفّ به إلا أوجعته، ولا يأتيني عالم بجاهل، استخفّ به إلا أثكلت به، ولا يأتيني شريف بوضيع، استخفّ به إلا ضربته.

-خطب... أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تنتفعوا بأحسن ما تستمعون منا.

_... فأما عُبيد فإنما هو والد مبرور، أو كافل مشكور.

-خطبة لجامع المحاربي

قال للحجاج حين بنىٰ مدينة واسط:

بنيتها في غير بلدك، وأورثتها غير ولدك!... أما إنهم لو أحبّوك لأطاعوك، علىٰ أنهم ما شنؤوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك، فدع عنك ما يبعدهم منك، إلىٰ ما يقرّبهم إليك... قال الحجاج: إني والله ما أرىٰ أن أرد بني اللكيعة إلىٰ طاعتي إلا بالسيف! قال له:

أيها الأمير، إن السيف إذا لاقىٰ السيف، ذهب الخيار، قال الحجاج: الخيار يومئذ لله... فقال: ويحكم! عمّوه بالخلع كما يعمكم بالعداوة... أيها التميمي، هو أعدىٰ لك من الأزدي؛ وأيها القيسي، هو أعدىٰ لك من التّغلبيّ؛ وليس يظفر بمن ناوأه منك، إلا بمن بقي معه.

-خطب الحجاج.. يأهل العراق، يأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، وبني

اللَّكِيعة (اللئيمة)، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع (الكمأة) بالقرقر (المنخفض)، إني سمعت تكبيرا، لا يراد به الله، وإنما يراد به الشيطان... أما والله لا تقرع عصا بعصا، إلا جعلتها كأمس الدابر (الماضي المنتهي).

_يأهل العراق، إن الشيطان استبطنكم... فحشاكم شقاقا ونفاقا... فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام... رمتم المكر؛ وسعيتم بالغدر... إن بعثتكم إلىٰ ثغوركم، غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم؛ لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة.. يأهل العراق؛ هل شغب شاغب، أو نعب ناعب، أو نعق ناعق، أو زفر زافر، إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يأهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟

ثم التفت إلىٰ أهل الشام فقال: يأهل الشام، إنما أنا لكم كالظليم (ذكر النعام) الذابّ عن فراخه؛ ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويكنّها من المطر، ويحميها من الضباب؛ ويحرسها من الذئاب؛ يأهل الشام، أنتم الجُنّة والرداء، وأنتم العدة والحذاء.

_وخطب بالبصرة فقال... مالي أرىٰ علماءكم يدهنون (وفي رواية يذهبون)، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟... ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس.

-وخطب في أهل العراق فقال:... وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكره.

_... قال:

أنا ابن جَلَا وطلاع الثّنايا... متىٰ أضع العمامة تعرفوني

جلا: (الصبح أو الأمر الظاهر)

... إني والله... لا يُغمز جانبي كتَغْماز التّين، ولا يُقعْقَع لي بالشِّنان (الضرب بيابس علىٰ القربة)؛ ولقد فررت عن ذكاء... فإنكم قد طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سَنن الغيّ؛ وايم الله لألحونّكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السّلمة... أما والله لا أعد إلا وفيت؛ ولا أخْلِق إلا فريت؛ فإياي وهذه الشفعاء، والزرافات والجماعات، وقالا وقيلا وما يقولون... والله لتستقيمنّ علىٰ طريق الحق، أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده... فلما رأىٰ المهلب ذلك قال: لقد ولي العراق خير ذكر.

ـ... ثم وليكم البازلُ الذكر الذي جرّبته الأمور، وأحكمته التجارب... وقبلتكم علىٰ معرفتي بكم؛ ولو علمت أنّ أحدا أقوىٰ عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتكم؛ فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غما.

-خطبته لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد:

أيها الناس، محمّدان في يوم واحد.. وايم الله ليوشكن الباقي مني ومنكم أن يفنىٰ، وأن تُدال الأرض منا كما أدلنا منها؛ فتأكل من لحومنا؛ وتشرب من دمائنا؛ كما مشينا علىٰ ظهرها، وأكلنا من ثمارها، وشربنا من مائها... ثم تمثل بهذين البيتين:

عزائي نبيّ الله من كلّ ميّت ** وحسبي ثواب الله من كلّ هالك

إذا ما لقيت الله عني راضيا ** فإنّ سرور النفس فيما هنالك

ـذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق؛ وقالوا: مات الحجاج! فلما بلغه تحامل حتىٰ صعد المنبر فقال:

يا أهل الشقاق والنفاق! نفخ إبليس في مناخركم فقلتم: مات الحجاج، ومات الحجاج فمه؟ والله ما أحب أن لا أموت.

ـ... حلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار، ثم أتىٰ زوجته، فمنعته نفسها، فأتىٰ ابن شبرمة يستفتيه؛ فقال: يا بن أخي امض فكن مع أهلك، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار، فلا يضرّك أن تزني.

* (منهج ابن عبد ربه) وإنما مذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه، ونحذف الكثير الذي يُجتزأ منه بالقليل.

-خطبة طاهر بن الحسين:

... إنّ ظهور غلبتنا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا، بل اختار الله لخلافته- إذ جعلها عمودا لدينه، وقواما لعباده- من يستقل بأعبائها، ويضطلع بحملها.

-خطبة عبد الله بن طاهر

... والطاعة لولاة أمره، الذين جعلهم رعاة الدين، ونظام المسلمين... فليكن الصبر معقلكم، الذي إليه تلجؤون... فإنه الوزر المنيع، الذي دلكم الله عليه، والجُنّة

(الدرع) الحصينة.

-خطب لقتيبة بن مسلم.. لعن الله الأعراب! جمعتُهم كما يُجمع فرخ الخريق (النعام)، من منابت الشيح والقيصوم، ومنابت الفلفل، يركبون البقر؛ ويأكلون الهبيد (الحنظل)، فحملتهم علىٰ الخيل، وألبستهم السلاح، حتىٰ منع الله بهم البلاد، وجبىٰ بهم الفيء. قالوا: مرنا بأمرك. قال: غرّوا غيري.

_... وأما هذا الحي من بكر بن وائل، فعلجة بظراء، لا تمنع رجليها.. فما ضرب العير بذنَبِه... وايم الله لو ملكت أمر الناس، لنقشت أيديهم..

قال الشاعر:

إذا كنت من سعد وخالك منهم ** بعيدا فلا يغرك خالك من سعد

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم ** إلىٰ الغدر أدنىٰ من شبابهم المرد

_... مثل أطباء (أثداء) الكلبة؛ منهم ابن رحمة، حصان يضرب في عانة؛ لقد كان أبوه يخافه علىٰ أمهات أولاده.

-خطبة ليزيد بن المهلب:

... أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش (مرتزقة)... أعيروني سواعدكم ساعة، تَصْفقوا بها خراطيمهم (أنوفهم).

-خطبة قُس بن ساعدة الإيادي:

... إنّ في السماء لخبرا، وإنّ في الأرض لعبرا، سحائب تمور، ونجوم تغور، في فلك يدور.

يُقْسم قُسّ قسما: إن لله دينا هو أرضىٰ من دينكم هذا.

-خطبة عائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل:

... ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما... مضىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم راضيا عنه؛ وطوّقه أعباء الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين بعده؛ فمسك أبي بطرفيه، ورتق لكم فتق النفاق، وأغاض نبع الردة،

وأطفأ ما حشّت (حش النار إيقادها) يهود؛ وأنتم يومئذ جُحْظ العيون، تنظرون العَدوة (الوثبة)، وتسمعون الصيحة؛ فرأبَ الثّأْي (الفساد)، وأوّد (ألان) من الغلظة، وامتاح (انتزع) من الهوّة؛ حتىٰ اجتحىٰ دفين الداء (قلع أصله)؛ وحتىٰ أعطن الوارد، وأورد الصادر، وعلّ الناهل؛ فقبضه الله إليه واطئا علىٰ هامات النفاق،... عُرَكَة (يحتمل للأذاة بجنبه، صفوحا عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام.

-خطبة عبد الله بن مسعود:

... أكرم الملل، ملة إبراهيم صلّىٰ الله عليه وسلم، وخير السنن، سنّة محمد صلّىٰ الله عليه وسلم... ما قل وكفىٰ، خير مما كثر وألهىٰ... خير الغنىٰ، غنىٰ النفس... الشباب شعبة من الجنون.... شرّ من الناس، من لا يأتي الجماعة إلا دَبْرا، ولا يذكر الله إلا هُجْرا... أشرف الموت الشهادة. من يعرف البلاء، يصبر عليه.

-خطب عمرو بن سعيد الأشدق:

... إن احتجتم إلىٰ رأيه أرشدكم، وإن افتقرتم إلىٰ ذات يده أغناكم؛ جذع (فرس في السنة الثانية) قارح (كملت أسنانه)، سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع فقرع؛

فقال له معاوية: أوسعت أبا أمية فاجلس.

-وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة:

إن عض نهس (أخذ اللحم بمقدم الأسنان)، وإن سطا فرس (افترس)، لا يقلقل له الحصىٰ، ولا تقرع له العصا، ولا يمشي السُّمَّهىٰ (الباطل).

-خطبة لعمرو بمكة:

... وإنما أنهاك عن التكبّر علىٰ أكفائك، فإن ذلك لا يرفعك عليهم، ولا يضعهم لك... فإن معي سوطا نكالا، وسيفا وبالا، وكلّ منصوب علىٰ أهله.

-خطبة للأحنف بن قيس:

... والله لأزد البصرة، أحبّ إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة، أحب إلينا من تميم الشام؛ فإن استشرف شنآنكم، وأبىٰ حسد صدوركم، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم.

-خطبة ليوسف بن عمر:

قام خطيبا فقال: اتقوا الله عباد الله: فكم مؤمّل أملا لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع عما سوف يتركه؛ ولعله من باطل جمعه، ومن حقّ منعه، أصابه حراما، وأورثه عدوّا حلالا، فاحتمل إصره، وباء بوزره، وورد علىٰ ربه، أسفا لهِفا، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

-خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

... فاختطفها ثُعالة (الثعلب).

-خطبة شبيب بن شيبة:

... ألا إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة: الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر؛ فأما الأسد الخادر، فأشبه منه صولته ومضاءه، وأما البحر الزاخر، فأشبه منه جوده وعطاءه، وأما القمر الباهر، فأشبه منه نوره وضياءه، وأما الربيع الناضر، فأشبه منه حسنه وبهاءه. ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول:

وموقف مثل حدّ السّيف قمت به ❊❊ أحمي الذّمار وترميني به الحَدَق

فما زلقت وما ألقيت كاذبة ❊❊ إذا الرّجال علىٰ أمثاله زلقوا

-خطب لعتبة بن أبي سفيان:

... إياكم أن تكونوا للسيف حصيدا، فإن لله فيكم ذبيحا لعثمان، أرجو أن يولينى نسكه... كان أذكركم إذا ذكر، وأصفحكم بعد المقدرة... بلغنا عنكم نجم قول، أظهره تقدّم عفو منا، فلا تصيروا إلىٰ وحشة الباطل، بعد أنس الحق، بإحياء الفتنة وإماتة السّنن؛ فأطأكم وطأة لا رمق معها؛ حتىٰ تنكروا مني ما كنتم تعرفون، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون.

-خطبة لعتبة بن أبي سفيان:

_يا حاملي ألأم أنوف ركبت بين أعين، إنما قلّمت أظفاري عنكم، ليلين مسّي إياكم، وسألتكم صلاحكم؛ إذ كان فسادكم راجعا عليكم، فأما إذ أبيتم إلا الطعن علىٰ الولاة، والتنقّص للسلف، فوالله لأقطعن علىٰ ظهوركم بطون السّياط، فإن حسمت داءكم، وإلا فالسيف من ورائكم؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة، إذا جدتم لنا بالمعصية، ولا أُؤْيِسَكم من مراجعة الحسنىٰ، إن صرتم إلىٰ التي هي أبرّ وأتقىٰ.

_... يا أهل مصر، لا غنىٰ عن الرب، ولا مهرب من ذنب؛ إنه قد تقدّمت مني، إليكم عقوبات، كنت أرجو يومئذ الأجر فيها.

_... يا أهل مصر، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح، وظبات السيوف، حتىٰ صرنا شجىٰ في لهواتكم، ما تسيغه حلوقكم، وأقذاء في أعينكم، ما تطرف عليها جفونكم، أفحين اشتدّت عرىٰ الحق عليكم عقدا، واسترخت عقد الباطل منكم حلا، أرجفتم بالخليفة، وأردتم تهوين الخلافة، وخضتم الحق إلىٰ الباطل، وأقدم عهدكم به حديث، فاربحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم؛... واعلموا أن سلطاننا علىٰ أبدانكم دون قلوبكم؛ فأصلحوا لنا ما ظهر، نكلكم إلىٰ الله فيما بطن؛ وأظهروا خيرا، وإن أضمرتم شرا.

-خطبة عتبة في الموسم:

... ورب متمنّ، حتفه في أمنيته، اقبلوا ما قبلنا العافية فيكم، وقبلناها منكم، وإياكم ولوّا، فإن لوّا قد أتعبت من قبلكم، ولن تريح من بعدكم؛ فأسأل الله أن يعين كلّا علىٰ كل.

فناداه أعرابي من ناحية المسجد: أيها الخليفة. قال: لست به ولم تبعد. فقال: يا أخاه! فقال: أسمعت فقل.

فقال: والله لأن تحسنوا وقد أسأنا، خير لكم من أن تسيؤوا وقد أحسنّا، فإن كان الإحسان لكم، فما أحقّكم باستتمامه، وإن كان لنا، فما أحقكم بمكافأتنا. رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة، ويختص إليكم بالخؤولة، وقد كثر عياله، ووطأه زمانه، وبه فقر، وفيه أجر، وعنده شكر.

_... يأهل مصر، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم، ببعض الجور عليكم؛ فقد وليكم من يقول ويفعل.. فإن رددتم ردّكم بيده، وإن استعصيتم ردّكم بسيفه، ثم رجا في الآخر، ما أمّل في الأوّل؛ إن البيعة مشايعة، فلنا عليكم السمع والطاعة،

ولكم علينا العدل؛ فأيّنا غدر، فلا ذمّة له عند صاحبه، والله ما انطلقت بها ألسنتنا، حتىٰ عقدت عليها قلوبنا، ولا طلبناها منكم، حتىٰ بذلناها لكم، ناجزا بناجز، ومن حذّر كمن بشّر. قال فنادوه: سمعا سمعا، فناداهم: عدلا عدلا.

_قدم كتاب معاوية إلىٰ عتبة بمصر: إنّ قبلك قوما يطعنون علىٰ الولاة، ويعيبون

السلف. فخطبهم فقال:

يأهل مصر، خفّ علىٰ ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه، وذمّ الباطل وأنتم تأتونه... وإياكم وقال ويقول، قبل أن يقال فعل ويفعل؛ وكونوا خير قوس سهما، فهذا اليوم الذي ليس قبله عقاب، ولا بعده عتاب.

-خطب الخوارج:

خطبة لقطري بن الفجاءة في ذمّ الدنيا:

... فإني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وغمرت بالآمال، وتحلّت بالأماني، وزيّنت بالغرور؛ لا تدوم حسرتها، ولا تؤمن فجعتها؛ غدّارة ضرارة، وحائلة زائلة، ونافدة بائدة... مع أن امرءا لم يكن منها في حَبْرة، إلا أعقبته بعدها عَبْرة... ولم تُطِلُّه منها ديمة رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء... وإن جانبٌ منها اعذوذب واحلولىٰ، أمر عليه منها جانب فأوبا... ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن، إلا أصبح منها في قوادم خوف... كم واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته... سلطانها دول وعيشها رَنِق، وعذبها أجاج، وحلوها مرّ، وغذاؤها سمام، وأسبابها رِمام (بالية) وقطافها سَلَع (ثمار مرة)، حيُّها بِعَرَض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام، مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وصحيحها وسليمها منكوب، وحائزها وجامعها محروب...

ألستم في مساكن من كان أطول أعمارا، وأوضح آثارا، وأعدّ عديدا، وأكثف جنودا، وأعتد عتادا، وأطول عمادا؟ تعبّدوا للدنيا أيَّ تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا عنها بالكره والصَّغار... وعفّرتهم للمناخر، وأعانت عليهم ريب المنون، وعقرتهم بالمصائب...

-خطب لأبي حمزة بمكة:

... فصعد المنبر متوكئا علىٰ قوس عربية... نعم الشباب مكتهلين، عمية عن الشر أعينهم، بطيئة عن الباطل أرجلهم... كأن زفير جهنم في أذنيه... أنضاء عبادة، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم،... استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله... قد رمّلت محاسن وجهه الدماء... فكم من مقلة في منقار طائر، طالما بكىٰ صاحبها من خشية الله، وكم من خد عتيق، وجبين رقيق، خَلِق بِعَمد الحديد.

-قال مالك بن أنس رحمه الله: خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب، قال:

أوصيكم بتقوىٰ الله وطاعته،... وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله، وتصغير ما عظّمت من الباطل... وأن يطاع الله، ويعصىٰ العباد في طاعته؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله... إنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا... ولا لدولة ملك، نريد أن نخوض فيها، ولا لثأر قد نيل منّا؛ ولكنا لمّا رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الادّعاء في الدين، وعُمل بالهوىٰ، وعطّلت الأحكام، وقتل القائم بالقسط، وعنّف القائل بالحق... فأجبنا داعي الله، فأقبلنا من قبائل شتىٰ، قليلين مستضعفين في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره...

يأهل المدينة، أوّلكم خير أوّل، وآخركم شرّ آخر؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم، فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج، بتأويل الجاهلين... ما أصح أصلكم، وأسقم فرعكم!... استعبدتكم الدنيا فأذلتكم، والأمانيّ فأضلتكم... سراع إلىٰ الفتنة، بطاء عن السّنّة؛ عُمْي عن البرهان، صُمّ عن العرفان؛

عبيد الطمع، حلفاء الجزع؛... ومواعظ القرآن تزجركم، فلا تزدجرون، وتعبّركم فلا تعتبرون،... أخذوا المال من غير حلّه، فوضعوه في غير حقه... وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا، في مهور النساء، وفروج الإماء.... فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا، والسيوف بوجوهنا...

أسقطنا في هذه الخطبة، ما كان من طعنه علىٰ الخلفاء، فإنه طعن فيها علىٰ عثمان وعلي بن أبي طالب رضوان الله عليهما، وعمر بن عبد العزيز، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر، وكفّر من بعدهما، فلعنة الله عليه... كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم، وهو مضيّع للدين والدنيا، اشتُري له بردان بألف دينار، ائتزر بأحدهما والتحف بالآخر، وأقعد حبّابة عن يمينه، وسلامة عن يساره، فقال: يا حبابة غنيني، ويا سلامة اسقيني؛ فإذا امتلأ سكرا، وازدهىٰ طربا، شق ثوبيه وقال: ألا أطير؟

فطر إلىٰ النار، وبئس المصير.

-وخطبة لأبي حمزة:

أما بعد، فإنك في ناشئ فتنة، وقائم ضلالة، قد طال جثومها... ألا وإن لله بقايا من

عباده، لم يتحيروا في ظلمها... مصابيح النور في أفواههم تزهو، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق... قاموا علىٰ العلم الأعظم، هم خصماء الشيطان الرجيم، بهم يصلح الله البلاد، ويدفع عن العباد؛ طوبىٰ لهم وللمستصبحين بنورهم...

-من أرتج (أغلق) عليه في خطبته:

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه؛ فقال: أيها الناس، إن أول كلّ مركب صعب؛ وإن أعش تأتكم الخطب علىٰ وجهها...

فإن لا أكن فيهم خطيبا فإنني ** بسيفي إذا جدّ الوغىٰ لخطيب

فقيل له: لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس.

-وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي، فحصر، فقال: أيها الناس... فإن الله يحول بين المرء وقلبه؛ كما قال في كتابه؛ وأنتم إلىٰ إمام عدل، أحوج منكم إلىٰ إمام خطيب...

-وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرتج عليه.. فقال: أما بعد، فإن هذا الكلام يجيء أحيانا، ويعزب أحيانا، فيسح عند مجيئه سَيْبُه، ويعزّ عند عزوبه طلبه؛ ولربما كوبر فأبىٰ، وعولج فنأىٰ؛ فالتأني لمجيّه، خير من التعاطي لأبيّه، وتركه عند تنكره، أفضل من طلبه عند تعذره؛ وقد يرتج علىٰ البليغ لسانه، ويخلج من الجريّ جنانه.

-وأتىٰ رجل من بني هاشم اليمامة، فلما صعد المنبر أرتج عليه؛ فقال: حيّا الله هذه الوجوه، وجعلني فداءها: قد أمرت طائفي بالليل ألا يرىٰ أحدا، إلا أتاني به؛ وإن كنت أنا هو، ثم نزل.

-خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحىٰ، فأرتج عليه، فمكث ساعة ثم قال: والله لا أجمع عليكم عَيّا ولؤما، من أخذ شاة من السوق، فهي له، وثمنها عليّ.

-خطب النكاح:

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلىٰ عتبة بن أبي سفيان ابنته، فأقعده علىٰ فخذه، وكان حدثا، فقال:

أقرب قريب، خطب أحبّ حبيب... وأنت أعز عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك؛ فأكرمها يعذب علىٰ لساني ذكرك، ولا تهنها فيصغر عندي قدرك؛ وقد قرّبتك مع قربك،

فلا تبعد قلبي من قلبك.

-وخطبة نكاح

سوّار القاضي.. زوّج شبيب بن شيبة ابنه بنتَ سوار القاضي، فقلنا: اليوم يعبّ عُبابه، فلما اجتمعوا تكلم فقال:

الحمد لله، وصلىٰ الله علىٰ رسول الله، أمّا بعد، فإن المعرفة منا ومنكم بنا وبكم، تمنعنا من الإكثار، وإن فلانا ذكر فلانة.

-خطبة نكاح:

كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح، بعد الحمد لله والثناء عليه:

أمّا بعد، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة.

-خطبة نكاح.. وما حَسَنٌ أن يمدح المرءُ نفسه... ولكن أخلاقا تذمّ وتمدح

وإن فلانة ذكرت لي.

-خطبة نكاح

عمر بن عبد العزيز.. يستحب للخاطب إطالة الكلام، وللمخطوب إليه تقصيره.. وقد أحسن بك ظنّا من أودعك كريمته، واختارك ولم يختر عليك...

-نكاح العبد:

الأصمعي قال: زوّج خالد بن صفوان عبده من أمته، فقال له العبد: لو دعوت الناس وخطبت! قال: ادعهم أنت. فدعاهم العبد، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال:

إن الله أعظم وأجلّ، من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين! وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية، من هذا ابن الزانية.

-خطب الأعراب:

-خطب أعرابي فقال... لا تهتكوا أستاركم، عند من لا تخفىٰ عليه أسراركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم...

-وخطبة لأعرابي:

... فإنّ التعمق في ارتجال الخطب لممكن، والكلام لا يثنىٰ، حتىٰ ينثني عنه، والله تبارك وتعالىٰ لا يدرك واصف كنه صفته، ولا يبلغ خطيب منتهىٰ مدحته...

-خطبة أعرابي لقومه:

... ما أقبح بمثلي أن ينهىٰ عن أمر ويرتكبه، ويأمر بشيء ويجتنبه، وقد قال الأوّل:

ودعْ ما لمتَ صاحبه عليه... فذمّ أن يلومك من تلوم.

❋ كتاب المُجَنَّبَة الثانية: في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة:

قال ابن عبد ربه.. إذ كان أشرف الكلام.. وأقلّه علىٰ اللسان عملا: ما دل بعضه علىٰ كله، وكفىٰ قليله عن كثيره، وشهد ظاهره علىٰ باطنه، وذلك أن تقلّ حروفه، وتكثر معانيه.. كان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من الإسهاب (ابن عمر).

-العرب والإيجاز:

ولم أجد أحدا من السلف يذمّ الإيجاز ويقدح فيه... وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهربها من التثقيل والتطويل، كان قصر الممدود، أحب إليها من مدّ المقصور، وتسكين المتحرك، أخفّ عليها من تحريك الساكن، لأن الحركة عمل، والسكون راحة.. والاختصار عندهم أحمد في الجملة... وقد تومئ إلىٰ الشيء، فتستغني عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لَمحة دالّة.

-جعفر وكتابه لابن مسعدة:

وقّع جعفر بن يحيىٰ... إذا كان الإكثار أبلغ، كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا، كان الإكثار عيّا.

-مروان وكتاب لقائد:

وقّع مروان بن محمد: أما إنك لو علمت عددا أقل من واحد، ولونا شرّا من أسود، لبعثت به.

-قال أعرابي عن البلاغة: حذف الكلام، وإيجاز الصواب.

❋ ختم الكِتاب وعنوانه:

قال حسان بن ثابت في قتل عثمان:

ضحّوا بأشمط عنوان السّجود به... يقطّع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال أهل التفسير في قول الله تعالىٰ: إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ.

أي: مختوم؛ إذ كانت كرامة الكتاب ختمه.

* شرف الكُتّاب وفضلهم:

جاء في الأثر: ضع القلم علىٰ أذنك، فإنه أذكرُ للمُمْلي، وأقضىٰ للحاجة.

-روي في صلح الحديبية أنه أتي بعبد الله بن سعيد إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والأنصاري مُطِيف به (محيط) ومعه سيفه، فمدّ رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم يده وبايعه، وقال للأنصاري: لقد تلوّمتك أن توفي بنذرك! فقال: هلا أومضت إليّ! فقال صلّىٰ الله عليه وسلم:

لا ينبغي لي أن أومض.

-يقول حسان بن ثابت:

فمن للقوافي بعد حسّان وابنه... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

* مَن نَبُل بالكتابة وكان قبلُ خاملا:

سرجون بن منصور الرومي: كتب لمعاوية، ويزيد ابنه، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان؛ إلىٰ أن أمره عبد الملك بأمر فتوانىٰ فيه، ورأىٰ منه عبد الملك بعض التفريط، فقال لسليمان بن سعد كاتبه علىٰ الرسائل: إن سرجون يَدِلّ علينا بصناعته، وأظن أنه رأىٰ ضرورتنا إليه في حسابه، فما عندك فيه حيلة؟ فقال: بلىٰ، لو شئت لحوّلت الحساب من الرومية إلىٰ العربية. قال: افعل. قال: أَنْظِرْني أعاني ذلك. قال: لك نَظِرَة ما شئت. فحوّل الديوان، فولاه عبد الملك جميع ذلك.

... وقحذم جدّ الوليد بن هشام القحذمي؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلىٰ العربية.

-وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد:

حمار في الكتابة يدّعيها ** كدعوىٰ آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ** ولو غرّقت ثوبك في المداد

❋ صفة الكُتّاب: قال إبراهيم بن محمد الكاتب: من كمال آل الكتابة، أن يكون الكاتب نقيّ الملبس، نظيف المجلس...

وأنشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس:

وأنت إذا نطقت كأنّ عيرا ❋❋ يلوك بما يفوه به لجامه

–ونظر أحمد بن الخصيب إلىٰ رجل من الكُتّاب... فقال: لأنْ يكون هذا فنطاس مركب (حوض لادخار الماء)، أشبه من أن يكون كاتبا.

❋ ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه:

قال إبراهيم الشيباني: أوّل ذلك حسن الخط، الذي هو لسان اليد.

–وقال علي بن ربن النصراني الكاتب في الكاتب...

وإياك والنقط والشكل في كتابك، إلا أن تمرّ بالحرف المُعْضَل، الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه؛ فإني سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول: لأنْ يُشْكِلِ الحرف علىٰ القارئ، أحب إليّ من أن يعاب الكتاب بالشكل.

–وكان المأمون يقول: إياكم والشُّونيز (الحبة السوداء) في كتبكم. يعني النقط والإعجام.

–واعلم أنّ محل القلم من الكاتب، كمحل الرمح من الفارس.

❋ من صفات الكاتب:

وأفضل الكُتّاب ما كان في أول كتابه دليل علىٰ حاجته...

وكرهوا في الجملة، أن تزيد صدور كتب الملوك، علىٰ سطرين أو ثلاثة، أو ما قارب ذلك.

–وقيل للشعبي: أي شيء تعرف به عقل الرجل؟ قال: إذا كتب فأجاد.

–وقال الحسن بن وهب: الكاتب نفس واحدة، تجزأت في أبدان متفرقة.

–فأمّا الكاتب المستحقّ اسم الكتابة... سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها.

–بين العتابي وصديق له.. اصنع لي رسالة. فاستمد مدة ثم علق القلم؛ فقال له صاحبه: ما أرىٰ بلاغتك إلا شاردة عنك. فقال له العتابي: إني لما تناولت القلم، تداعت

عليّ المعاني من كل جهة، فأحببت أن أترك كل معنىٰ، حتىٰ يرجع إلىٰ موضعه؛ ثم أجتني لك أحسنها.

* ما يحتاج إليه الكاتب.. فإن تضمين المثل السائر، والبيت الغابر البارع، مما يزين كتابك، ما لم تخاطب خليفة، أو ملكا جليل القدر، فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب، إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر، والصانع له، فإن ذلك يزيد في أبّهته (عظمته).

-خبر حائك الكلام:

قال أبو جعفر البغدادي للمعتصم في قصة طويلة: هذا شحاذ (مستعملة).

-المنصور وقوم من الكتاب: عتب أبو جعفر المنصور علىٰ قوم من الكتاب فأمر بحبسهم؛ فرفعوا إليه رقعة ليس فيها إلا هذا البيت:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ** فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم، وأمر بتخلية سبيلهم.

-قال المؤيد: كتّاب الملوك، عيونهم الناظرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة.

-قال سهل بن هارون: الكتابة أول زينة الدنيا، التي إليها يتناهىٰ الفضل، وعندها تقف الرغبة. وجعلوها هِجِّيْراهم (الدأب والعادة) في مخاطبة الشريف والوضيع.

-وكان أبو إبراهيم المزني يقول في بعض ما خطب به داود بن خلف الأصبهاني:

«فإن قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله» فنقض ذلك عليه داود، وقال فيما ردّ عليه: نحمد الله علىٰ أن يُخرج امرأ مسلما من الإسلام؟ وهذا موضع استرجاع، وللحمد مكان يليق به، وإنما يقال في المصيبة: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ.

فامتثلْ هذه المذاهب، واجرِ علىٰ هذه القواعد، وتحفّظ في صدور كتبك وفصولها، وافتتاحها وخواتمها، وضع كلّ معنىٰ، في موضع يليق به، وتخيّر لكل لفظة معنىٰ يشاكلها، وليكن ما تختم به فصولك.. في موضع ذكر البلوىٰ بمثل: نسأل الله دفع المحذور، وصرف المكروه؛ وأشباه هذا؛ وفي موضع ذكر المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون. وفي موضع ذكر النعمة: الحمد لله خالصا، والشكر لله واجبا... والرسائل إنما يخاطب بها أقوام دخلاء علىٰ اللغة، لا علم لهم بلسان العرب.

-وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك، والمعنىٰ الملتبس.

-وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغّر الاسم في موضع التعظيم، وإن كان ذلك جائزا، مثل قولهم: «دُوَيْهِيَة» تصغير داهية.

-فتخيّرْ من الألفاظ أرجحها لفظا، وأجزلها معنىٰ، وأشرفها جوهرا، وأكرمها حسبا، وأليقها في مكانها، وأشكلها في موضعها... فزنِ اللفظة، قبل أن تخرجها، بميزان التصريف إذا عرضت، وعايرِ الكلمة بمعيارها إذا سنحت... إذا كتبت: أنا فاعل، أحسن من أن تكتب: أنا أفعل، وموضع آخر، يكون فيه: استفعلتُ، أحلىٰ من: فعلتُ؛ فأدِرِ الكلام علىٰ أماكنه، وقلّبْه علىٰ جميع وجوهه؛ فأيَّ لفظةٍ رأيتَها أخفّ في المكان الذي ندبتها إليه، وأنزعَ إلىٰ الموضع الذي راودتها عليه، فأوقعها فيه؛ ولا تجعل اللفظة قلقة في موضعها، نافرة عن مكانها؛ فإنك متىٰ فعلت ذلك، هجّنت الموضع الذي حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه؛ فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها، وقصدك بها إلىٰ غير مصابها، إنما هو كترقيع الثوب، الذي لم تتشابه رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، خرج عن حد الجِدّة، وتغيّر حسنه، كما قال الشاعر:

إن الجديد إذا ما زيد في خَلَق... تبيّن الناس أنّ الثّوب مرقوع

-كذلك كلما احلولىٰ الكلام، وعذُب وراق، وسهلت مخارجه، كان أسهل ولوجا في الأسماع، وأشدّ اتصالا بالقلوب، وأخفّ علىٰ الأفواه... لم يَسِمْه التكلف بميسمه، ولم يفسده التعقيد باستغلاقه.

-كتب بعض الكتاب وتقعر لأحد الملوك.. فوقع (الملك) في أسفل الكتاب: والله لو عطست ضبّا (طعام الأعراب)، ما كنت عندنا إلا نبطيا، فأقْصِر عن تنطّعك، وسهّل كلامك.

-وتضاؤل المعنىٰ الحسن، تحت المعنىٰ القبيح، كتضاؤل الحسناء في الأطمار الرثة.

-وقال علي بن عبيدة: إنما يبين عن الإنسان اللسان، وعن المودّة العينان.

❋ البلاغة:

قال سهل بن هارون: سياسة البلاغة، أشدّ من البلاغة.

-وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة، والإصابة.

* تضمين الأسرار في الكتب.. أن تأخذ لبنا حليبا، فتكتب به في القرطاس، فيذرُّ المكتوب له عليه رمادا سخنا، من رماد القراطيس (الحبر السري).

* قولهم في الأقلام

قالوا: القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون، بسرائر القلوب، علىٰ لغات مختلفة.

كأن اللّآلي والزبرجد نطقه ** ونَوْر الخزامىٰ في عيون الحدائق.

-قال حبيب بن أوس، وهو من أحسن ما قيل فيه:

إذا ما امتطىٰ الخمس اللّطاف وأفرغت ** عليه شعاب الفكر وهي حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوّضت ** لنجواه تقويض الخيام الجحافل

-قال البحتري:

وكأنها والسمع معقود بها ** شخص الحبيب بدا لعين محبّه (نتاج القلم)

-ومن قول المصنف:

تمجّ فكّاه ريقةً صغُرت ** وخطبها في القلوب قد كبُرا

-كتب جعفر بن يحيىٰ.. والمط نصف الخط، ولا يقوىٰ عليه إلا العاقل.

-قال العتابي: ببكاء القلم، تبتسم الكتب.

-ابن سيرين قال: أجود الخط أبينه.

-ذكر علي بن عبيدة القلم.. يجعل الكتب بين الإخوان ألسنا ناطقة، وأعينا لاحظة.

-قال أحمد بن يوسف الكاتب: ما عبرات الغواني في خدودهن، بأحسن من عبرات الأقلام في خدود الكتب.

-وقال العتابي: الأقلام مطايا الفطن.

-عرض غلامان خطوطهما علىٰ أستاذهما، فقال لأحدهما: أما خطّك أنت،

فوشي مَحُوك.

وقال للآخر: وأما خطك أنت، فذهب مسبوك؛ تكافأتما في غاية، وتوافيتما في نهاية.

-قال أبو هِفّان يصف القلم:

يهفو به قلم يمجّ لعابه ** فيعود سيفا صارما ومثقّفا

-قال بعض الكتّاب:

بأضوع أو بأسطع من نسيم ** تؤدّيه الإفادة من دواة

-قال آخر في وصف محبرة:

فأنْفِسْ بذلك من غائص ** بديع الكلام له جوهر (فأنفس من النِفاسة)

وأكرم ببحر له لجّة ** جواهرها حكم تنثر

-وقال بعض الكتاب:

إذا ما التقينا وانتضينا صوارما ** يكاد يصُمّ السامعين صريرُها

تساقط في القرطاس منها بدائع ** كمثل اللآلي نظمها ونثيرها

-وقال سهل بن هارون: القلم لسان الضمير، إذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره.

-وقالوا: حسن الخط يناضل عن صاحبه، ويوضح الحجة، ويمكّن له دَرَك البغية.

-وقال آخر: الخط الرديء زمانة (عاهة) الأديب.

* قولهم في الحبر:

قال بعض الكتّاب: عطّروا دفاتر آدابكم بجيّد الحبر، فإن الأدب غواني (جوارٍ)، والحبر غوالي (عطور).

-نظر جعفر بن محمد إلىٰ فتىٰ، علىٰ ثيابه أثر المداد، وهو يستره، فقال له:

لا تجزعنّ من المداد فإنه ** عطر الرجال وحلية الكتّاب

-وأتىٰ وكيعَ بن الجراح رجلٌ يمُتّ إليه بحرمة، فقال له: وما حرمتك؟ قال له:

كنت تكتب من محبرتي عند الأعمش.

-قيل في الأقلام.. فهي كاللآلئ المكنونة في الصّدف، والأنوار المحجوبة في السُّدَف (الظلمات)، تِبْرِيّة القشور، دُريّة الظهور، فضية الكسور، قد كستها الطبيعة جوهرا، كالوشي المحبر (استعمال كلمة الطبيعة).

* قولهم في الصحف:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب ** تلهو به إن ملّك الأحباب

لا مفشيا سراّ إذا استودعته ** وتُفاد منه حكمة وصواب

-وقال آخر:

ولكلِّ صاحبِ لذّة متنزّه ** أبدا ونزهة عالم كتبه

-وقال حبيب:

وألفاظ كألفاظ المثاني ** وخطّ مثل وشم يد الكعاب

كتبت ولو قدرت هوىٰ وشوقا ** إليك لكنت سطرا في الكتاب

-وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب:

وكان أغضّ في عيني وأندىٰ ** علىٰ كبدي من الزهر الجنيّ

وضمّن صدره ما لم تضمّن ** صدور الغانيات من الحُليّ

فيا ثلج الفؤاد وكان رَضْفا (حجر محمّىٰ) ** ويا شبعي برونقه وريّي

وإن يك من هداياك الصّفايا ** فربّ هديّة لك كالهَدِيّ

-ورفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي إلىٰ الفضل بن يحيىٰ بن خالد، رقعة بأبيات...

لست بالنّاسك المشمّر ثوبَيْـ ** ـه ولا الفاتك الخليع الوقاح

-قال محمد بن يزيد: فبلغ هذا الشعر أبا نواس، فقال:

فإذا الشُّم من شماريخ رضوىٰ ** خفّة عنده نوىٰ المسباح

❋ -توقيعات الخلفاء:

عثمان بن عفان رضي عنه.. وقّع في قصة رجل شكا عَيْلة عليه: قد أمرنا لك بما يقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف.

-معاوية بن أبي سفيان.. كتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي، يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة، باثني عشر ألف جذع: أدارك في البصرة، أم البصرة في دارك؟.

-عبد الملك بن مروان. وقّع في كتاب أتاه من الحجاج، يشكو إليه نفرا من بني هاشم، ويغريه بهم: جنّبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب.

-وفي كتاب الحجاج يخبره بقوّة ابن الأشعث: بضعفك قوي، وبخرقك طلع.

-عمر بن عبد العزيز.. في رقعة محبوس: تُبْ تُطْلَقْ.

-وفي رقعة امرأة حبس زوجها: الحقُّ حبسه.

-مروان بن محمد.. وقع حين أتاه غرق قَحْطَبَة وانهزام ابن هبيرة: هذا والله الإدبار، وإلا فمن رأىٰ ميّتا هزم حيّا؟.

-توقيعات بني العباس: السفاح. وقع في كتاب جماعة من بطانته، يشكون احتباس أرزاقهم: من صبر في الشدة، شارك في النعمة.

-أبو جعفر

وقع في كتابه إلىٰ عبد الله بن علي عمه: لا تجعل للأيام فيّ وفيك نصيبا من حوادثها.

-وفي قصة رجل شكا الدين: إن كان دينك في مرضاة الله قضاه.

-وإلىٰ صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل: طهّر عسكرك من الفساد، يعطك النيل القياد.

-وفي كتاب أتاه من صاحب الهند، يخبره أن جندا شغبوا عليه، وكسروا أقفال بيت المال، فأخذوا أرزاقهم منه: لو عدلت، لم يشغبوا، ولو وفيت، لم ينهبوا.

-المهدي. في قصة قوم تظلموا من عاملهم، وسألوا إشخاصه إلىٰ بابه: قد أنصف القارة من راماها (قبيلة رامية).

-هارون الرشيد. وقع إلىٰ صاحب خراسان: داو جرحك لا يتسع.

-وفي قصة محبوس: من لجأ إلىٰ الله نجا.

-وإلىٰ صاحب السّند إذ ظهرت العصبية: كل من دعا إلىٰ الجاهلية، تعجّل إلىٰ المنية.

-وإلىٰ صاحب المدينة.. قد أطالوا ليلي بالسهاد، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد.

-بيت الجحاف بن حكيم:

متقلّدين صفائحا هنديّة ** يتركن من ضربوا كمن لم يولد

. لله أمّ ولدته؛ وأب أنهضه.

-المأمون. وقع إلىٰ علي بن هشام في أمر تظلم: من علامة الشريف، أن يظلم من فوقه، ويظلمه من دونه.

-وإلىٰ هشام: لا أدنيك ولك ببابي خصم.

-وإلىٰ الرستمي في قصة من تظلم منه: ليس من المروءة، أن تكون آنيتك من ذهب وفضة، وغريمك خاو، وجارك طاو.

-وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: يا عمرو، عمّر نعمتك بالعدل؛ فإن الجور يهدمها.

-ووقع في رقعة مولىٰ طلب كسوة: لو أردت الكسوة للزمت الخدمة، ولكنك آثرت الرّقاد، فحظّك الرؤيا.

-ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه، وقد وافته الأموال.. لإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته.

-توقيعات الأمراء والكبراء:

-زياد. إلىٰ صاحب خراسان في أمر خالفه فيه: استر بعض دينك ببعض، وإلا ذهب كله (في نسخة: اشتر).

-وفي قصة قوم رفعوا علىٰ عامل رفيعة: من أماله الباطل، قوّمه الحق.

-وفي قصة رجل شكا إليه عقوق ابنه: ربما كان عقوق الولد، من سوء تأديب الوالد.

-الحجاج بن يوسف.. في كتاب قتيبة إليه، أنه علىٰ عبور النهر، ومحاربة الترك: لا تخاطر بالمسلمين، حتىٰ تعرف موضع قدمك، ومرمىٰ سهامك.

-وإلىٰ قتيبة: خذ عسكرك بتلاوة القرآن، فإنه أمنع من حصونك.

-في كتاب صاحب الكوفة.. ما ظنك بقوم، قتلوا من كانوا يعبدونه.

-وفي كتابه إلىٰ يزيد بن أبي مسلم: أنت أبو عبيدة هذا القرن.

-جعفر بن يحيىٰ:

وقع في قصة محبوس: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ.

-وفي مثله: العدل يوبقه، والتوبة تطلقه.

-وفي قصة متنصح: بعض الصدق قبيح.

-وفي قصة مستمنح، قد كان وصَلَه مرارا: دع الضرع يدِرّ لغيرك، كما درّ لك.

-وإلىٰ الفضل بن الربيع وجاءه منه كتاب غمّه وكربه: كثرة ملاحاة الأودّاء، ربما أراقت الدماء.

-ووقع إلىٰ متنصل من ذنب: حكم الفلَتات، خلاف حكم الإصرار.

-الفضل بن سهل.. في قصة متظلم: كفىٰ بالله للمظلوم ناصرا.

-ووقع إلىٰ حاجبه: تمهّل وتسهّل.

-وإلىٰ صاحب الشرطة: ترفّق توفّق.

-قال بعض الشعراء لابن مروان:

ليت المنابر يا بن مروان النّدىٰ ❋❋ أضحت وأنت خطيبها وإمامها

-طاهر بن الحسين:

وقّع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب: طلبَ الحق في دار الباطل.

-وكتب أبو جعفر إلىٰ عمرو بن عبيد: أبا عثمان، أعنّي بأصحابك، فإنهم أهل العدل، وأصحاب الصدق، والمؤثرون له. فوقع في كتابه: ارفع علم الحق، يتبعْك أهلُه.

-توقيعات العجم: كتب كسرىٰ إلىٰ مُتَنَصِّح (مخبر، دبوس، فسفوس): أنّ قوما

من بطانته اجتمعوا للمنادمة، فعابوه وثلموه، فوقّع:

لئن كانوا نطقوا بألسنة شتىٰ، لقد اجتمعت مساويها علىٰ لسانك، فجُرحُك أرغب، ولسانك أكذب.

-ورفع إليه جماعة من بطانته، رقعة يشكون فيها سوء حالهم، فوقع: ما أنصفكم مَنْ إلىٰ الشّكيّة أحوجَكم.

-ووقع أنو شروان إلىٰ صاحب خراجه: ما استُغزِر الخراج بمثل العدل، ولا استُنْزِر بمثل الجور.

-ووقع في قصة محبوس: من ركب ما نُهِي عنه، حيل بينه وبين ما يشتهي.

-ووقع في قصة رجل سعىٰ إليه بباطل: باللسان احفظ رأسك.

-ووقّع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله: لا تصلح العامة، إلا ببعض الحيف علىٰ الخاصة.

❋ في المودة:

-إبراهيم بن العباس: المودّة يجمعنا حبلُها.

-سعيد بن عبد الملك: أنا صَبّ إليك، سامي الطرف نحوك، وذكرك ملصق بلساني، واسمك حلو علىٰ لهواتي، وشخصك ماثل بين عينيّ، وأنت أقرب الناس من قلبي، وآخَذُهم بمجامع هواي.

-وقال أبو العتاهية:

وللقلب علىٰ القلب ❋❋ دليل حين يلقاه

وللناس من الناس ❋❋ مقاييس وأشباه

-وفصل له: لساني رطب بذكرك، ومكانك من قلبي معمور بمحبتك، حضرت أو غبت، سرت أو أقمت. كقول أخي أبي دلف:

لعمري لئن قرّت بقربك أعين ❋❋ لقد سخنت بالبين منك عيون

فسر أو فقف وقْفٌ عليك مودّتي ❋❋ مكانك من قلبي عليك مصون

❋ فصول في الزيارة:

كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلىٰ صديق له:

نحن في مأدبة لنا، تشرف علىٰ روضة، تضاحك الشمس حسنا، قد باتت السماء تكلُّها، فهي شرقة بمائها، حالية بنوّارها... فكتب إليه.. فكيف في موضع أنت تسكنه، وتجمع إلىٰ أنيق منظره، حسن وجهك وطيب شمائلك، وأنا الجواب.

-فصل: إلىٰ الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك.

-فصل: الشوق إليك، وإلىٰ عهد أيامنا، التي حسنُت بك، كأنها أعياد... تصاقب الديار (دنوها)، وقرب الجوار... وكل علة معك محتملة، وكل جفوة مغفورة، للشغف بك، والثقة بحسن نيتك؛ وسنأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها ** وتعتلّ عن إتيانهنّ فتعذر

-فصل: كتب حكيم إلىٰ حكيم: يا أخي، إن أيام العمر، أقلّ من أن تحتمل الهجر.

-فصل.. قد جعلك الله للسرور نظاما، وللأنس تماما، وجعل المشاهد موحشة، إذا خلت منك.

-وقال آخر:

أزور محمّدا فإذا التقينا ** تكلمت الضمائر في الصدور

فأرجع لم ألمه ولم يلمني ** وقد رضي الضمير عن الضّمير

* فصول في وصاة:

فبلسانه أشكر ما أتيت إليه، وأذم ما قصرت فيه.

* فصول في عتاب: كتب أحمد بن يوسف.. أنا منك كالغاصّ بالماء، لا مساغ له. وكما قال الشاعر:

كنت من كربتي أفرّ إليهم ** وهم كربتي، فأين الفرار؟

-فصل: أما بعد، فقد كنت لنا كلّك، فاجعل لنا بعضك، ولا نرضىٰ إلا بالكل لك منا.

-فصل... لو أن كل من نازع إلىٰ الصرم، قلّدناه عِنان الهجر، لكنّا أولىٰ بالذنب.

-لست أسلك طريقا من العتب عليك، إلا سده ما أنطوىٰ عليه من مودتك.. وما أحقَّ من جعلك علىٰ أمر عونا، أن تكون له إلىٰ النجاح سببا.

وقال الشاعر:

وأعجب من ذا وذا أنني ** أراك بعين الرّضا في الغضب

-إذ كنت لا تجعل عتبك سببا لمنع معروفك.

- والله يديم نعمته لك ولنا بك.

-فصل لابن المدبر: وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل، والتقريع اللطيف؛ فلولا ما غلب عليّ من السرور بسلامتك، لتقطعت غمّا بعتابك، الذي لطُف، حتىٰ كاد يخفىٰ عن أهل الرقة والفطنة، وغلُظ حتىٰ كاد يفهمه أهل الجهل والبَلَه.

-قال أبو الدرداء: إعتاب الأخ خير من فقده.

❁ فصول في التنصل:

كتب ابن مكرم: وإلا تكن فنفثة حاسد، زخرفها علىٰ لسان واش، نبذها إليك في بعض غِرّاتك، أصابت مني مقتلا، وشفت منه غليلا.

-فصل: ليس يزيلني عن حسن الظنّ بك، فعلٌ حملك الأعداء عليه.

-فصل لإبراهيم بن العباس: الكريم أوسع ما تكون مغفرته، إذا ضاقت بالمذنب معذرته.

-فصل: يا أخي، أشكو إلىٰ الله وإليك، تحامُلَ الأيام عليّ.

❁ فصول في حسن التواصل:

قد أفردتك برجائي بعد الله، وتعجلت راحة اليأس، ممن يجود بالوعد، ويضن بالإنجاز.. ويعيب الكذب ولا يصدق.

- أصاب الله بمعروفك مواضعه، وبسط بكل خير يدك.

-أتوقف توقف المخفف عنك من المؤونة.. والمعتمد منك علىٰ المِقة، لا أعدمنا الله دوام عزّك.. لأنك لا تعرف حرّا قعد به دهره، إلا سبقت مسألته بالعطية، وصنت وجهه عن الطلب والذّلة.

-فصل: لي عليك حق التأميل والشكر، بما ابتدأت من المعروف، ولك عليّ حق الاصطناع والفضل.

-فصل: لك-أصلحك الله-عندي أياد، تشفع لي إلىٰ محبتك.

-فصل: قد أجلّ الله قدرك عن الاعتذار.. وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت، ونرضىٰ بما أتيت، وصلت أو قطعت.

* فصول في الشكر: كأنهما قرطان بينهما وجه حسن.

-وفصل للحسن بن وهب.. فإن شكري لك علىٰ مهجة أحييتها، وحُشاشة أبقيتها، ورمقٍ أمسكت به، وقمت بين التلف وبينه.. رددت عنا كيد العدو، وأرغمت أنف الحسود؛ فنحن نلجأ منك إلىٰ ظل ظليل، وكنف كريم.

* فصول في البلاغة:

كتب الحسن بن وهب إلىٰ إبراهيم بن العباس: وصل كتابك، فما رأيت كتابا أسهل فنونا، ولا أملس متونا، ولا أكثر عيونا، ولا أحسن مقاطع ومطالع منه.. وعاد الظنّ يقينا، والأمل مبلوغا.

-فمنه ما يُفِكّه الأسماع، ويؤنس القلوب، ومنه ما يُحمّل الآذان ثقلا، ويملأ الأذهان وحشة.

* فصول من المدح:

كتب ابن مكرم إلىٰ أحمد بن المدبر:

إنّ جميع أكفائك ونظرائك، يتنازعون الفضل، فإذا انتهوا إليك، أقروا لك، ويتنافسون في المنازل، فإذا بلغوك، وقفوا دونك؛ فزادك الله، وزادنا بك وفيك.

-فصل.. أنك أخذتها بحقها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها؛ ومن شأن الأجناس أن تتآلف، وشأن الأشكال أن تتعارف، وكل شيء يتقلقل إلىٰ معدنه (يتحرك)، ويحنّ إلىٰ عنصره.. وتبنّكَ تبنُّكَ الطبيعة (تثبّت).

-فصل: إني فيما أتعاطىٰ من مدحك، كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر، والقمر الباهر، الذي لا يخفىٰ علىٰ كل ناظر.

-فصل لمحمد بن الجهم: يستدرون ودك، ويتمسكون بحبلك.

-فصل لابن مكرم: السيف العتيق، إذا أصابه الصدأ، استغنىٰ بالقليل من الجِلاء، حتىٰ تعود جدّته، ويظهر فِرِنده (جوهره)، لِلِينِ طبيعته، وكرم جوهره، ولم أصف نفسي لك عُجْبا، بل شكرا.

-فصل له: زاد معروفك عندي عظما، أنه عندك مستور حقير، وعند الناس مشهور كبير.

-فصل للعتابي.. المسدود به ثلمهم، المجدد به قديم شرفهم، والمحيا به أيام سعيهم. وإنه لم يخمل من كنت وراثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله، ولا امّحت أعلام من خلفته في رتبته.

* فصول في الذمّ: كتب أحمد بن يوسف:

أما بعد، فإني لا أعرف للمعروف طريقا، أوعر من طريقه إليك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك في المعروف أن تحقره، وفي وليّه أن تكفره.

-فصل: إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار... وقد كنت أحلّ مودّتك بالمحل النفيس، وأنزلها بالمنزل الرفيع، حتىٰ رأيت ذلتك عند القلّة، وضرعتك عند الحاجة، وتغيّرك عند الاستغناء، واطّراحك لإخوان الصفاء.

-فصل للعتابي: تأتّينا إفاقتك من سكرتك، وترقّبنا انتباهك من رقدتك، وصبرنا علىٰ تجرع الغيظ فيك، حتىٰ بان لنا اليأس من خيرك.

* فصول في الأدب: كتب سعيد بن حميد: إنّ من أمارات الحزم، صحة الرأي في الرجل: يترك التماس ما لا سبيل إليه، إذا كان ذلك داعية لعناء لا ثمرة له، وشقاء لا درك فيه؛ وقد سمحت في أمر، تخبرك أوائله عن أواخره، وينبيك بدؤه عن عواقبه.. ودل عدوّك علىٰ معايبك، وكشف له عن مقاتلك.

-فصل: أنت رجل لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق عزمك.

-فصل: من أخطأ في ظاهر دنياه، وفي ما يؤخذ بالعين، كان أحرىٰ أن يخطئ في أمر دينه.

-فصل: قد حسدك من لا ينام دون الشفاء، وطلبك من لا ينام دون الظفر، فاشدد

حيازيمك وكن علىٰ حذر.

-فصل.. لا يكن غيرك فيما يبلّغه، أوثق من نفسك، في ما تعرفه.

-فصل: لستَ بحال يرضىٰ بها حرّ، أو يقيم عليها كريم، وليس يرضىٰ لك بهذا، إلا من لا ينبغي لك أن ترضىٰ به.

-فصل للعتابي: أما بعد، فإن قريبك من قرُب منك خيره، وابن عمك من عمّك نفعه، وعشيرك من أحسن عشرتك.

* فصول إلىٰ عليل:

-مُؤلَم منها بما يؤلمك.

-عليل بعلتك.. وأصدق الخبر، ما حققه الأثر، وأفضل القول، ما كان عليه دليل من العقل.

-مَن تَقَسّم جوارحَه وصبُك.. كتبت مهنئا بالعافية، مُعْفيا من الجواب.

-كتب الحجاج إلىٰ الخليفة.. إن كل ما عنيت.. سعيد يوثر، أو شقي يوتر.

-الحسن بن سهل يصف المأمون.. لا يأمر إلا عدلا؛ ولا ينطق إلا فصلا.. كافّا ليده ولسانه.

-كتب الزيات. حق الأولياء علىٰ السلطان.. تقويم أودهم، ورياضة أخلاقهم.. فيقدّم محسنهم، ويؤخر مسيئهم.

-وله: أعظم الحقّ حقّ الدين، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين.

-وله: إن الله أوجب لخلفائه علىٰ عباده حقّ الطاعة والنصيحة، ولعبيده علىٰ خلفائه بسط العدل والرأفة، وإحياء السّنن الصالحة.. واتساق الكلمة، ودوام الألفة.

- (نعمة الله علىٰ الأمير).. خصه بشرف الفتوح شرقا وغربا، وبرا وبحرا.

-أفعال الأمير عندنا معسولة كالأماني، متصلة كالأيام؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله، ونواصل الدعاء له مواصلة بره؛ إنه الناهض بكلنا، والحامل لأعبائنا.

-فصل.. وأية هاتين كانت منك لمحلة النكر بك، وموجبة العقوبة عليك.. الأناة والنظرة.. أقلت من عظيم العثرة.

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته ❊❊ جهل رمىٰ بك بالإقحام تغرير

أهْوِن بدنيا يصيب المخطؤون بها ❊❊ حظّ المصيبين والمغرور مغرور

وإن ظفرت علىٰ جهل ففزت به ❊❊ قالوا جهول أعانته المقادير

-فصل للحسن بن وهب.. جمع له من الفضائل ما فرّقه في الرّسل قبله صلىٰ الله عليه وسلم.

-فصول للجاحظ.. فصول عتاب:

المكافأة بالإحسان فريضة.

-العقل والهوىٰ ضدان، فقرين العقل التوفيق، وقرين الهوىٰ الخذلان.

-القلوب أوعية، والعقول معادن.

-فكفىٰ بالتجارب تأديبا، وبتقلب الأيام عظة، وبأخلاق من عاشرت معرفة.

-احتمال الصبر علىٰ لذع الغضب، أهون من إطفائه بالشتم والقذع.

-أهل النظر في العواقب، أولو الاستعداد للنوائب.

-الاهتمام بالدنيا، غير زائد في الرزق والأجل.

-ليس كل من حلم أمسك، وقد يستجهل الحليم، حتىٰ يستخفه الهجر.

-فإن أحببت أن تتم لك المِقَة في قلوب إخوانك، فاستقل كثيرا مما توليهم.

-فلو كففت عنا من غَرْبِك (الحدة)، لكنا أهلا لذلك منك.

-من توسل إليك بالأمل، ونزع نحوك بالرجاء.

-أسبابه متصلة بنا، يلزمنا ذمامه، وبلوغ موافقته من أياديك عندنا.

- وله فصول.. استنجاز وعد.. فقد رسفنا في قيود مواعيدك، وطال مقامنا في سجون مطلك، فأطلقنا- أبقاك الله- من ضيقها وشديد غمّها، بنعم منك مثمرة، أو لا مريحة.

-فإن شجر مواعيدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالما، من جوائح المطل.

-سحائب وعدك قد برقت، فليكن وبلها سالما، من صواعق المطل والاعتدال.

-وله فصول في الاعتذار.. فنعم البديل من الزّلة الاعتذار.

-فإنه لا عوض من إخائك.. فأطلق أسير تشوقي إلىٰ لقائك.

-فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك، مكذّب نفسه بما يبدو للناس منه.

-ضمنت لنفسي العفو من زلتها عندك.

-مسني من الألم، ما لم يشفه غير مواصلتك.. ذنبك تغتفره مودّتك، فامنن علينا بصلتك، تكن بدلا من مساءتك.

-فلا خير في من استغرقت موجدته عليك، قدرك عنده ولم يتسع لِهَنات

الإخوان صدره. -فإن أولىٰ الناس عندي بالصفح، من أسلمه إلىٰ ملكك، التماس رضاك، من غير مقدرة منك عليه.

-فإن كنت ذممتني علىٰ الإساءة، فلم رضيتَ لنفسك المكافأة.

-وله فصول في التعازي.. فإن في الله العزاء من كل هالك، والخلف من كل مصاب، وإنه من لم يتعز بعزاء الله، تنقطع نفسه من الدنيا حسرة.. فإن الصبر يعقبه الأجر، والجزع يعقبه الهلع.. فقد كفىٰ بكتاب الله واعظا.

-صدور إلىٰ ولي عهد.. أجرىٰ علىٰ يديه فعل الجميل.. أكمل الله له الكرامة، وحاطه بالنعمة والسلامة.

-صدور إلىٰ والي شرطة: أنصف الله بك المظلوم، وأغاث بك الملهوف، وأيّدك بالتثبت، ووفّقك للصواب.

-أنطقك بالصواب، وجعلك عصمة للدين، وحصنا للمسلمين.

-زادك الله شرفا في المنزلة، وقدرا في قلوب الأمّة.

-وكشف بك كربة الملهوف، وأعانك علىٰ أداء الحقوق.

-إلىٰ قاض: ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم، والتثبت في الحكم.

-زيّن الله بفضلك الزمان، وأنطق بشكرك اللسان، وبسط يدك في اصطناع المعروف.

-أدام الله لك الإفضال، وحقق فيك الآمال.

–صدور إلىٰ عالم: نفع الله بعلمك المستفيدين.. وأوضح بك سنن الدين، وشرائع المسلمين.

–صدور إلىٰ إخوان:

متّع الله أبصارنا برؤيتك، وقلوبنا بدوام ألفتك، ولا أخلانا من جميل عشرتك.. وأبهج الله إخوانك بقربك، وجمع ألفتهم بالأنس بك، وصرف الله عن ألفتنا عواقب القدر، وأعاذ صفو إخائنا من المكدر.. وآنس أيامنا بمواصلتك.. وجمع شمل السرور بك. نزّه الله بقربك القلوب، وبرؤيتك الأبصار، وبحديثك الأسماع. أقبل الله بك علىٰ أودّائك. ولا ابتلاهم بطول جفائك.

حفظ الله لنا منك، ما أوحشنا فقده،

رحم الله فاقة الحنين إليك، وما بي من تباريح الحزن عليك.. أعاد الله علينا من إخائك، وجميل رأيك.

–صدور في عتاب: كتب معاوية لعمرو.. وأولىٰ الناس بمعرفة الدواء، من يَبِين له الداء.

فأجابه.. ومثلك شَكَر مَسْعىٰ مُعْتَذر، وعفا زلّة معترف.